T
٤١١٨

الجامعة الأميركية في بيروت

التقدير النحوي عند سيبويه

سعد حسن ضاروب

بيروت، لبنان

شباط ١٩٩٦

الجامعـــة الأميركيـــة فـــي بيــــروت

التقدير النحوي عند سيبويه

سعد حسن ضاروب

بيــــروت، لبنـــان

شباط ١٩٩٦

الجامعـــة الأميركيـــة فــــي بيــــروت

قضايا التقدير النحوي عند سيبويه

سعد حسن ضاروب

رسالـــــــــــة
مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة استاذ في الآداب
(الماجستير)
الى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى
في الجامعة الأميركية في بيروت

بيــــروت، لبنــــان

شباط ١٩٩٦

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

ASPECTS OF GRAMMATICAL TAQDIR IN SIBAWAYHI

by

SAAD HASSAN DAROUB

A thesis submitted
in partial fulfilment of the requirements
for the degree of Masters of Arts
in the Department of Arabic
and Near Eastern Languages
of the Faculty of Arts and Sciences
at the American University of Beirut

Beirut, Lebanon

February 1996

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

ASPECTS OF GRAMMATICAL TAQDIR IN SIBAWAYHI

I, Saad Hassan Daroub authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals on request.

S. Daroub
Signature

1/31/1996
Date

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

ASPECTS OF GRAMMATICAL TAQDIR IN SIBAWAYHI

by
Saad Hassan Daroub

Approved by :

Professor Ramzi Baalbaki	Advisor
Professor Tarif Bazzi	Member of Committee
Professor Abdul Fattah al-Zein	Member of Committee

Date of Thesis Presentation : February 23 rd. ,1996.

المقدمة

رغم أن تعبير "التقدير" لم يرد في كتاب سيبويه إلا أن تعابير أخرى وردت تدل على هذا المصطلح، ومنها: الإضمار والحذف والتمثيل. ولعل مصطلح "التقدير" يشمل كل هذه المصطلحات بدلالة وروده كثيراً عند النحويين المتأخرين. وفي كل الاحوال فالتقدير يعالج قضايا في الجملة العربية فيحللها ويبيّن أصلها، ولو كان نظرياً، لأنه يحاول أن يوضح ما غمض من أسرارها إن من ناحية التركيب أو المعنى.

وقد اخترت معالجة هذا الموضوع عند سيبويه لأن كتابه أول كتاب معروف لدينا في النحو، ولأنه أخذ، كما يبدو في الكتاب، بآراء من سبقه من النحويين وخاصة الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولأنه في الكتاب جامع (ما أمكن الجمع) ولا يعرض مجرّد شذرات، بل يحاول أن يبني نظرية نحوية جعل في أسسها العامل والتقدير (وإن لم يرد هذا التعبير بذاته كما أسلفنا).

وقد قسّمت موضوعي إلى فصول أربعة، أولها يعرض لأنواع التقدير في الكتاب من إضمار الفعل المستعمل إظهاره وغير المستعمل إظهاره إلى إضمار الاسم بما فيه المبتدأ والخبر والمفعول به والفاعل (نادراً طبعاً) ويتوافق هذا مع الإضمار بعد بعض النواسخ لدخولها على المبتدأ والخبر، ثم انتقلتُ إلى إضمار الحروف.

وقبل أن أمضي في عرض باقي الفصول أودّ أن أؤكد، كما ألمحت سابقاً، إلى أن استعمالي لمصطلح التقدير يشمل الإضمار والحذف والتمثيل. ويؤكد سيبويه، في بعض الأحيان، أن ما يذكره من إضمار هو "تمثيل لا يتكلم به"، وفي أحيان أخرى يجيز إظهار ما أضمر.

أما الفصل الثاني فعرضت فيه للأسس النظرية الفكرية للتقدير فمررت على المنهج الوصفي ثم ذكرت المعيارية في اللغة وانتقلت بعدها الى آراء تشومسكي ومشايعيه في النحو التحويلي-التوليدي، بعد ذلك عرضت لفكرة العامل في النحو ثم لامست قضية الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وكل هذا له ارتباط بفكرة التقدير.

وجعلت الفصل الثالث لدراسة مكانة التقدير في نظرية سيبويه النحوية خاصة بعد ما عرضت له من أفكار في الفصل الثاني وحاولت أن أبرز أهمية التقدير عن سيبويه في نظريته النحوية التي أقام بعضاً منها على فكرة العامل والإسناد.

وختمت بالفصل الرابع مقارناً لبعض آراء الكوفيين والبصريين مظهراً خلافاً في المصطلح فقط أحياناً، وفي الرأي أحياناً أخرى، وابديت في الوقت عينه اتفاقاً كان يُظن اختلافاً وردّ المبرّد (البصري) لبعض روايات سيبويه وقليل من الخلاف معه.

وأرجو أن أكون قد وفّقت إلى إلقاء بصيص نور على مسألة التقدير .

المحتويات

الفصل الثاني: الأسس النظرية لفكرة التقدير

الفصل الأول

أنواع التقدير في الكتاب

في إضمار الفعل

يضمر الفعل أو يقدّر، عند سيبويه، لأسباب متعددة منها: مراعاة سياق الحال، والاعتماد على فهم المخاطَب الذي هو شريك في العملية اللغوية، ومنها أنه يفسِّر ظواهرَ إعرابية كالنصب والجر، ضمن نظرية العامل والمعمول. ويمثّل اضمار الفعل، في بعض الأحيان، تدخلاً من سيبويه في تفسير الجُمل من منظوره هو وانطلاقاً من عدم اكتفائه بالوصف؛ ويجعل له شروطاً منها مثلاً: ألاّ ينقض التقدير المعنى.

واضمار الفعل عنده ينقسم الى قسمين رئيسيين: الأول: إضمار الفعل المستعمل إظهارُه، أي اختيار إضمار الفعل (مع امكانية إظهاره) وذلك لأسباب ذكرنا منها مراعاة سياق الحال والاعتماد على فهم المخاطب الخ. والقسم الثاني: هو إضمار الفعل المتروك إظهارُه، أي أن الفعل (المفسِّر والعامل، الخ.) مقدَّرٌ تقديراً عقلياً، وقد يمثّل به سيبويه ليوضح مراده، لكنه يشدِّد على كون ذلك تمثيلاً لا يُتكلَّم به.

١ - إضمار الفعل المستعمل إظهاره

يقول سيبويه في إضمار الفعل: "إن الفعل يجري في الأسماء على ثلاثة مجارٍ: فعلٌ مُظهرٌ لا يحسن إضمارُه، وفعلٌ مضمَرٌ مستعملٌ إظهارُه، وفعلٌ مضمَرٌ متروكٌ إظهارُه"[1]. ونأخذ المجريين الأخيرين، أي الفعل المضمر المستعمل إظهارُه والفعل المضمر المتروك اظهارُه لنجد ان سيبويه قد عقد ابواباً يفصّل فيها سير كل مجرىً.

---

[1] الكتاب، ج ١، ص ٢٩٦.

أ- إضماره في الأمر والنهي

ففي ما خصَّ الفعل المضمر المستعمل إظهارُه يضع عدة ابواب منها "باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهارُه إذا عَلِمْتَ أنّ الرجل مستغنٍ عن لفظك بالفعل"، ويمثِّل له بأن "ذلك قولك: زيداً، وعمراً، ورأسَه. وذلك أنّك رأيت رجلاً يضرب أو يشتِم أو يقتل، فاكتفيت بما هو فيه من عمله ان تلفُظَ له بعمله فقلت: زيداً، أي أوقع عملك بزيدٍ"[٢]. فهذا في الأمر. "وأما النهي فإنه التحذير، كقولك: الأسدَ الأسدَ... وانما نهيته أن... يقرب الأسدَ"[٣]. وهذه الأفعال المضمرة يمكن إظهارها. فيمكن ان نقول: اضربْ زيداً ولا تقرب الأسد[٤]. ويقول في مَثَلٍ من امثال العرب "اللهمّ ضبعاً وذئباً"، إنك "اذا سألتهم ما يعنون قالوا: اللهمّ اجمعْ "أو اجعلْ فيها ضبعاً وذئباً"[٥]. ويضيف "وانما سَهُلَ تفسيره عندهم لأنَّ المضمَر قد استعمل في هذا الموضع عندهم بإظهار"[٦].

ويفسر قول الشاعر:

أخاك أخاك إن منْ لا اخا له   كساعٍ الى الهيجا بغيرِ سلاحِ

فيقول: "كأنه يريد: الزمْ أخاك"[٧].

ب - إضمارُه في غير الأمر والنهي

ثم يعقد سيبويه باباً لما يُضمَر به الفعلُ المستعمل إظهارُه في غير الأمر والنهي[٨] ويمثّل عليه بأنك "اذا رأيتَ رجلاً متوجّهاً وجهةَ الحاجّ، قاصداً في هيئة الحاجّ، فقلت: مكّةَ وربِّ الكعبة...

---

[٢] نفسه، ص ٢٥٣.

[٣] نفسه، ص ٢٥٣.

[٤] نفسه، ص ٢٥٤.

[٥] نفسه، ص ٢٥٥.

[٦] نفسه، ص ٢٥٥.

[٧] نفسه، ص ٢٥٦.

[٨] نفسه، ص ٢٥٧.

كأنّك قلتَ: يريد مكّةَ واللهِ"[٩]. ويعطي مثلاً من كتاب الله العزيز: "بلْ ملّةَ إبراهيمَ حنيفاً" (سورة البقرة، الآية ١٣٥) ويقدِّر أنّ الفعل المضمَر هو نتَّبع، كأنه قيل لهم: اتَّبعوا، حين قيل لهم: "كونوا هوداً أو نصارى". والملاحظ هنا ربطُ سيبويه التقدير بسياق الحال، كالرجل المتوجِّه الى الحجّ، وما سبق الآية "بلْ ملّة..." من قوله عزّ وجلّ: "كونوا هوداً أو نصارى" ليأتي بتقدير فعل اتّبعوا وبل نتّبع.

ويوضح سيبويه أن إضمار الفعل مع ارادة الأمر يكون مع المخاطب لا مع الغائب لأنك في حالِ ما تستطيع ان تقول: زيداً وانت تعني اضربْ زيداً، أما مع الغائب فكأنك تقول: قلْ له ليضربْ زيداً " فضعُف عندهم مع ما يدخل من اللَّبس في امرٍ واحدٍ ان يُضمَرَ فيه فعلان لشيئين"[١٠]، وهذا ما يؤكّد اهمية سياق الحال ودور المخاطَب عنده.

ج – إضمارُه بعد حرف

ويتابع سيبويه فيعقد باباً لما يُضمر فيه الفعل المستعمل إظهارُه بعد حرفٍ. ومن هذه الحروف إنْ المجازاة وهلاّ وألاّ ولو. يقول: "واعلم انه لا ينتصب شيء بعد إنْ ولا يرتفعُ الاّ بفعل، لأن إنْ من الحروف التي يُبنى عليها الفعلُ، وهي إنْ المجازاة، وليست من الحروف التي يُبتدأُ بعدها الأسماء ليُبنَى عليها الأسماء"[١١]. فهذا الحرف من الحروف المختصة بالأفعال وإن وَلِيها اسمٌ فعلى تقدير فعل. ويمثّل على ذلك بأمثلة منها: " الناس مجزيّون بأعمالهم إن خيراً فخيرٌ وان شرّاً فشرٌّ، والمرء مقتول بما قتل به إن خنجراً فخنجرٌ وان سيفاً فسيفٌ". ويوضح انه يقدر "كانَ" حيث يقول: "وإن شئتَ اظهرتَ الفعل فقلتَ: إن كان خِنجراً فخنجرٌ، الخ."[١٢].

---

[٩] نفسه، ص ٢٥٧.

[١٠] نفسه، ص ٢٥٨.

[١١] نفسه، ص ٢٦٣.

[١٢] نفسه، ص ٢٥٨.

ومع انَّ إضمار الرافع، كإضمار الناصب، عربيٌّ حسن فأن تُضمِر الناصبَ أحسن، "لأنك اذا اضمرت الرافع اضمرت له ايضاً خبراً، او شيئاً يكون في موضـع خبره. فكلّما كثُرَ الاضمارُ كـان اضعف"[١٣]. فقولك: ان خيرٌ فخيرٌ، فكأنك قلت: ان كـان في اعمالهم خيرٌ فـالذي يُجزَون بـه خيرٌ. ويجوز: إن كان خيرٌ على: إن وقع خيرٌ. وينشد بيتاً زعمَ يونس ان العرب تنشـده بـالّرفع وهـو لهُدبـة (بن خَشرم):

فإنْ تكُ في اموالِنا لا نَضيقْ بها   ذراعاً، وإن صبرٌ فنصبرُ للصّبرِ

ويرى ان الرفع على: إن وقع صبرٌ ويرى ان النصب فيه جيد بالغ "على التفسير الأول"[١٤]، أي على: ان كان (الأمر) صبراً. وهو على هذا يجعل النصب في قول نعمان بن المنذر:

قد قيل ذلك إنْ حقّاً وإن كَذِباً   فما اعتذارُك من شيءٍ اذا قيلا

ويجيز الرفع على: إنْ وقع حَقٌّ وإنْ وقع كَذِبٌ. اما في مثل: قد مررتُ برجلٍ إن طويلاً وإن قصيراً، فلا يكون في هذا الا النصب لأنك لا تستطيع ان تقول: إن كـان فيـه طويـلٌ وكذلك لا يجوز على إنْ وقع. وعلى هذا قول ليلى الأخيلية:

لا تقرَبَنَّ الدهر آلَ مُطَرِّفٍ   إن ظالماً ابداً وإن مظلوما

ويُقبّح سيبويه اضمار اكثر من فعل ويضعفه، فبعد ان يذكر اضمار "كان" في: مررتُ برجـلٍ صالحٍ وإن لا صالحاً فطالحٌ (أي إن لم يكن صالحاً)، يورد زعم يونس بأن من العرب من يقول إن لا صالحٍ فطالحٍ، على: إنْ لا اكنْ مررتُ بصالحٍ فبطالحٍ، فيقول: "وهذا قبيحٌ ضعيف، لأنـك تُضمـر بعد "إن لا" فعلاً آخر غير الذي تُضمِر بعد "إن لا" في قولـك: إن لا يكـن صالحـاً فطـالحٌ"[١٥]. أي إضمـار "مررتُ بـ" بعد "إن لا اكنْ". ويضيف سبباً آخر هو انه لا يجوز اضمار الجارّ، ولكنه يبرّر قولهم: إن

---

[١٣] نفسه، ص ٢٥٩.

[١٤] نفسه، ص ٢٦٠.

[١٥] نفسه، ص ٢٦٢-٢٦٣.

لا صالحٍ فطالحٍ بأنهم "لمّا ذكروه في اول كلامهم شبهوه بغيره (من الفعل)"[١٦] أي عندما قالوا :

مررتُ برجلٍ صالحٍ، في اول الكلام استمروا عليه. وهو يجعل اضمار رُبّ اقوى في قولهم:

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ[١٧]

ويمثّل على اضمار الفعل المستعمل إظهاره، بعد هلاّ وألاّ بقوله: "هلاّ خيراً من ذلك، والاّ خيراً من ذلك. كأنك قلت: الاّ تفعل خيراً من ذلك، وهلاّ تأتي خيراً من ذلك"[١٨]. ويجيز سيبويه الرفع هنا ايضاً على اضمار ما يرفع.

واذا كان سيبويه قد قرّر إضمار الفعل بعد هذه الحروف (إنْ، هلاّ، ألاّ) فلأنه يعدُّها من الحروف التي لا تَقدَّم فيها الأسماءُ الفعلَ، فهو بعد ان يعدّد حروف النصب والجزم ضمن هذا الباب[١٩] يذكر " إنْ" وهي "اصل الجزاء ولا تفارقه" ويقول: "واعلم ان حروف الجزاء يقبح ان تتقدم الأسماء فيها قبل الأفعال، وذلك لأنهم شبهوها بما يجزم مما ذكرنا، الاّ ان حروف الجزاء قد جاز ذلك فيها في الشعر لأن حروف الجزاء يدخلها فَعَلَ ويَفْعَلُ (أي يليها الماضي والمضارع، بينما حروف الجزم لا يليها سوى المضارع)، ويكون فيها الاستفهام فتُرفع فيها الأسماء..."[٢٠]. لذا جاز اضمار الفعل فيها ان وَليها اسم، يقول سيبويه: "واعلم ان قولهم في الشعر: إنْ زيدٌ يأتِكَ يكنْ كذا، انما ارتفع على فعلٍ هذا تفسيره"[٢١].

ويضيف سيبويه الى الحروف التي لا يليها إلا الفعل (ولكنها لا تنصب ولا تجزم): هلاّ ولولا والاّ. وفي موضع آخر يذكر " لَو" فيقول: "ولو بمنزلة " إنْ"، لا يكون بعدها الا الأفعال، فان سقط بعدها اسم ففيه فعل مضمر في هذا الموضع تُبنى عليه الأسماء. فلو قلت: الا ماءَ ولو بارداً، لم

---

[١٦] نفسه، ص ٢٦٣.

[١٧] نفسه، ص ٢٦٣.

[١٨] نفسه، ص ٢٦٨.

[١٩] الكتاب، ج ٣، ص ١١٠.

[٢٠] نفسه، ص ١١٢.

[٢١] نفسه، ص ١١٣ – ١١٤.

يحسن الا النصب، لأن بارداً صفة"[٢٢]. ويوضح الفعل المضمر المستعمل اظهاره بعد " لو" بالمثل، فـ"قولك: الا طعامَ ولو تمراً، كأنك قلت: ولو كان تمراً، وأتني بدابة ولو حماراً"[٢٣]. ويجيز الرفع في : الا طعامَ ولو تمرٌ على: ولو يكون عندنا تمرٌ، ويجيز الجر في: ولو حمارٍ، اذ يكون بمنزلته في "إن" (إن مررت بطالحٍ). ولأن "أحسن ما يضمر منه احسنه في الاظهار"[٢٤] فهو يقبّح "ولو حمار" على الرفع لأن التقدير فيه يطول "كأنه يقول: ولو يكون مما يأتيني به حمار"[٢٥]. وعلى هذا قول العرب: "ادفع الشرّ ولو اصبعاً، كأنه قال: ولو دفعته اصبعاً، ولو كان اصبعاً. ولا يحسن ان تحمله على ما يَرتَفع؛ لأنك ان لم تحمله على اضمار "يكون" ففعل المخاطب المذكور اولى واقرب"[٢٦]. يعني انه اما ان نقدر فعل "يكون" او فعلاً كالمذكور يخاطب به.

في موضوع "اذا" الشرطية يقول سيبويه: "ومما يقبح بعده ابتداء الأسماء ويكون الاسم بعده اذا اوقعت الفعل على شيء من سببه نصباً في القياس: اذا وحيث. تقول: اذا عبدَ الله تلقاه فأكرمْه، وحيث زيداً تجدهُ فأكرمْه؛ لأنهما يكونان في معنى حروف المجازاة. (الكتاب، ج ١، ص ١٠٦ – ١٠٧). لكنه يقول في موضع آخر منشداً بيت ذي الرُمّة:

اذا ابنُ أبي موسى بلالٌ بَلَغْتِهِ فقام بفأسٍ بين وَصلَيْكِ جازرُ

فالنصب عربي كثير والرفع اجود" (الكتاب، ج ١، ص ٨٦). ويعلق هارون بناءً على قول الأعلم الشنتمري: "يعني على الابتداء لا على اعمال فعل مفسّر، كأن مذهبه جواز الرفع والنصب بعد اذا، وان كان فيها معنى الشرط، لأنها غير عاملة، فيكتفى بما في جملة الابتداء من ذكر الفعل، فيستغنى بذلك عن ان يليها الفعل. وهذا احد توجيهين للشنتمري".

---

[٢٢] الكتاب، ج ١، ص ٢٦٩ – ٢٧٠.

[٢٣] نفسه، ص ٢٦٩.

[٢٤] نفسه، ص ٢٦٩.

[٢٥] نفسه، ص ٢٦٩.

[٢٦] نفسه، ص ٢٧٠.

د- اضماره في سياق الحديث

ويضمر الفعل المستعمل اظهاره في سياق الحديث والرد والجواب او على تقدير الحال او اكتفاءً بأن المخاطَب يعلم ما كان فيبني عليه.

ويمثّل سيبويه على هذا كأن "ترى الرجل قد قدِم من سفرٍ فتقول: خيرَ مقدمٍ. او يقول الرجل: رأيت فيما يرى النائمُ كذا وكذا، فتقول: خيراً وما سرَّ، وخيراً لنا وشراً لعدونا. وان شئت قلت: خيرُ مقدمٍ، وخيرٌ لنا وشرٌ لعدونا. اما النصب فكأنه بناه على (قوله): قدمتُ (فقال: قدِمْتَ) خيرَ مقدمٍ، (وان لم يُسمَعْ منه هذا اللفظ، فان قدومه ورؤيته اياه بمنزلة قوله: قدمتُ... فاذا نصب فعلى الفعل). واما الرفع فعلى انه مبتدأ أو مبني على مبتدأ[٢٧]. ومثل ذلك في سياق الحديث "قول العرب: حدّث فلانٌ بكذا وكذا، فتقول: صادقاً (والله). أو انشدك شعراً فتقول: صادقاً والله، أي قاله صادقاً"[٢٨]. وقد يُترك ذكر الفعل لما يُرى من الحال، كأن ترى رجلاً تعرّض لأمر فتقول: متعرّضاً لعَنَنٍ لم يَعْنِه، " أي دنا من هذا الأمر متعرضاً لعنن لم يعنه"[٢٩]. ومثله:

مواعيدَ عُرقوبٍ أخاه بيثْرِبِ

كأنه قال واعدتني مواعيد عرقوب، ولكنه ترك الفعل اكتفاءً بعلم مَن يعني بما كان بينهما قبل ذلك.

٢- اضمار الفعل المتروك اظهاره

أ- اضماره في الأمر والنهي والتحذير

اما الفعل المضمر المتروك استغناءً عنه فيعقد له سيبويه أبواباً عدة يبدأها بباب "ما جرى منه على الأمر والتحذير"[٣٠]؛ يقول: "وذلك قولك اذا كنت تحذّرُ: إياكَ. كأنك قلت: اياك نحِّ، واياك باعِدْ،

---

[٢٧] نفسه.

[٢٨] نفسه، ص ٢٧١.

[٢٩] نفسه، ص ٢٧٢.

[٣٠] نفسه، ص ٢٧٣.

وإياكَ اتّقِ، وما اشبه ذا. ومن ذلك (ان تقول): نفسَك يا فلان، أي اتّقِ نفسَك، الا ان هذا لا يجوز فيه اظهار ما اضمرت، ولكن ذكرته لأمثّل لك ما لا يُظهر إضماره. ومن ذلك ايضاً قولك: إياك والأسدَ، واياي والشر، كأنه قال: اياك فاتقِيَنَّ والأسدَ، وكأنه قال: اياي لأتّقِيَنَّ والشرّ. فاياك متقى، والأسد والشر متقيان، (فكلاهما مفعول ومفعول معه)"[٣١].

وينص سيبويه، في الموضع نفسه، على انهم "حذفوا الفعل من اياك لكثرة استعمالهم اياه في الكلام، فصار بدلاً من الفعل،...، فكأنه قال: احذر الأسد، ولكن لا بد من الواو لأنه اسم مضموم الى آخر"[٣٢]. "ومن ذلك: امرأ ونفسَه، كأنه قال: دع امرأ مع نفسه، فصارت الواو في معنى مع كما صارت في معنى مَعَ في قولهم: ما صنعت واخاك. وان شئت لم يكن فيه ذلك المعنى، فهو عربي جيد، كأنه قال: عليك رأسَك وعليك الحائطَ، وكأنه قال: دعِ امرأ ودع نفسه، فليس ينقض هذا ما اردت في معنى مَعَ من الحديث"[٣٣]. ويتبين من كلام سيبويه انه إما ان تُضمرَ فعلاً واحداً ينصب الاسم الأول وتنصب الثاني بواو المعية وإما ان تعدّ الواو عاطفة وتنصب بفعل ثانٍ الاسم الثاني. والمهم عنده ان لا ينقض ذلك المعنى. ويعلل سيبويه اضمار الفعل المتروك اظهاره في الأمر والتحذير بانهم "انما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنّوا لكثرتها في كلامهم، واستغناءً بما يرون من الحال، وبما جرى من الذكر، وصار المفعول الأول بدلاً من اللفظ بالفعل، حين صار عندهم مثل: اياك، ولم يكن مثل: اياك لو افردته، لأنه لم يكثر في كلامهم كثرة اياك، فشُبِّهت باياك حيث طال الكلام وكان كثيراً في الكلام. فلو قلت: نفسَك، أو رأسَك، او الجدارَ، كان اظهار الفعل جائزاً نحو قولك: اتق رأسك، واحفظ نفسك، واتق الجدار. فلما ثنيت صار بمنزلة اياك، واياك بدل من اللفظ بالفعل، كما كانت المصادر كذلك، نحو: الحذرَ الحذرَ. ومما جُعل بدلاً من اللفظ بالفعل قولهم: الحذرَ

---

[٣١] نفسه، ص ٢٧٣-٢٧٤.

[٣٢] نفسه، ص ٢٧٤.

[٣٣] نفسه، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

الحذرَ، والنَّجاء النَّجاءَ، وضرباً ضرباً، فانما انتصب (هذا) على الزمِ الحذرَ، وعليك النجاءَ، ولكنهم حذفوا لأنه صار بمنزلة افعَلْ. ودخول الزمْ وعليك على افعَلْ محال"[٣٤].

يتبين من كلام سيبويه ان الفعل يضمر وجوباً مع اياك لكثرتها في الكلام ولأنها صارت بدلاً من الفعل او من اللفظ به، اما ما جاء على نية التحذير والأمر في غير اياك فانه جائز فيه اظهار الفعل ما لم يثنوا، أي ما لم يذكروا بعدها شيئاً ثانياً، فان فعلوا فالفعل مضمر وجوباً؛ وهو يقارن هذا بنصب المصادر حين تُثَنَّى نحو: الحذرَ الحذرَ، فلا يجوز دخول فعل الأمر عليها لأنها صارت كفعل الأمر. ولا يغفل سيبويه عن ان يقرر ان حذف الفعل يكون ايضاً "استغناءً بما يَرَوْنَ من الحال، وبما جرى من الذكر"، أي ان الذي يحذِّر لا يجد متسعاً من الوقت للتلفظ بالفعل فيستغني عنه ويضمره.

ويأتي سيبويه بشواهده على وضع المصادر في موضع فعل الأمر فيذكر قول عمرو بن مَعْديكَرِب:[٣٥]

أريد حِباءَه ويريد قتلي ... عذيرَك من خليلك من مرادِ

حيث جعل المصدر " عذير" منصوباً على تقدير فعل ووضعه موضعه. ومثله للكمَيت:

نعاءِ جُذاماً غيرَ موتٍ ولا قتلِ ... ولكنْ فِراقاً للدَّعائم والأصلِ

فنعاءِ في موضع الفعل، والمعنى: انعِ جُذاماً. ويشبه بيتَ عمرو بن معد يكرب بيتُ ذي الإصبع العدواني:

عذيرَ الحيِّ من عَدْوا ... نَ كانوا حيّةَ الأرضِ

ويؤكد سيبويه على ضرورة ضمّ الاسم الثاني الى الأول في التحذير بواسطة "مِنْ" او "الواو" الا اذا اردت معنىً فيه الوعظ والترغيب.

---

[٣٤] نفسه، ص ٢٧٥ – ٢٧٦.

[٣٥] نفسه، ص ٢٧٦.

يقول سيبويه: "واعلم انه لا يجوز ان تقول اياك زيداً، كما انه لا يجوز ان تقول: رأسك الجدارَ، حتى تقول: من الجدارِ او والجدارَ. وكذلك ان تفعل، اذا اردت اياك والفعل. فاذا قلت: اياك ان تفعل، تريد اياك أعِظُ مخافة ان تفعل، او من اجل ان تفعل جاز، لأنك لا تريد ان تضمُه الى الاسم الأول: كأنك قلت، اياك نَحِّ لمكان كذا وكذا. ولو قلت: اياك الأسدَ، تريد من الأسد، لم يجُزْ كما جاز في أنْ، الا انهم زعموا ان ابن ابي اسحاق اجاز هذا البيت (في شعر):

إيَّاك إيّاك المِراءَ فإنه الى الشرِّ دعَّاءٌ وللشرِّ جالبُ[٣٦]

يتضح من قول سيبويه انه يقدر فعلاً مضمراً وجوباً قبل اياك وهي لا تقوم مقام الفعل لذا لا بد من رابط بينها وبين الإسم، كما في العلاقة بين اسمين لم يكثرا في كلام العرب مثل رأسَك (و) الجدارَ، حتى مع "ان تفعل" لا بد من هذا الرابط، الا ان تقصد معنى آخر تضمر له فعلاً آخر، لأنه في تخريجه للبيت المذكور يقول: "كأنه قال: اياك، ثم اضمر بعد اياك فعلاً آخر فقال اتق المراء"[٣٧]. كأنه عدّ تكرار اياك بمثابة اضمار فعل او كأن اياك الثانية بمعنى الفعل.

ب – اضماره في غير الأمر والنهي

اما ما ينتصب على اضمار الفعل المتروك اظهاره في غير الأمر والنهي فيبدأه سيبويه ويمثّل عليه بـ "اخذته بدرهمٍ فصاعداً، واخذته بدرهمٍ فزائداً. ويقرر انهم "حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم اياه، ولأنهم امنوا ان يكون على الباء، لو قلت اخذتهُ بصاعدٍ كان قبيحاً، لأنه صفة ولا تكون في موضع الاسم، كأنه قال: اخذته بدرهم فزاد الثمن صاعداً، او فذهب صاعداً"[٣٨]. ولا يجوز استعمال

---

[٣٦] نفسه، ص ٢٧٩.

[٣٧] نفسه، ص ٢٧٩.

[٣٨] نفسه، ص ٢٩٠.

"الواو" هنا لئلا تعطف وانت "لا تريد ان تُخبر ان الدرهم مع صاعدٍ ثمن لشيء، كقولك: بدرهمٍ وزيادةٍ"[٣٩]، اما ثم فهي بمنزلة الفاء الا ان الفاء اكثر في كلامهم[٤٠].

ويتبع هذا الباب ايضاً "قولك: يا عبد الله، والنداءُ كلُّه... حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم هذا في الكلام، وصار "يا" بدلاً من اللفظ بالفعل، كأنه قال: يا، أريد عبدَ الله، فحذف اريد وصارت "يا" بدلاً منها، لأنك اذا قلت: يا فلانُ، عُلِمَ انك تريده". ويؤكد انه ينتصب على الفعل المضمر وان "يا" صارت بدلاً منه فيقول: "ومما يدلك على انه ينتصب على الفعل وان "يا" صارت بدلاً من اللفظ بالفعل، قول العرب: يا ايّاك، انما قلتَ: يا اياك اعني، ولكنهم حذفوا الفعل وصار يا وايا واي بدلاً من اللفظ بالفعل"[٤١].

اما المنادى المفرد مثل: يا زيدُ فهو " رفعٌ وهو في موضع اسم منصوب"[٤٢]، ويقول انهم نصبوا كلمة "الطويل" في قولهم: يا زيدُ الطويلَ، لأن الكلمة صفةٌ لمنصوب، أو هي منصوب على تقدير فعل "اعني". اما: يا زيد الطويلُ، فسببه اطِّراد الرفع في المفرد في النداء حتى "صار عندهم بمنزلة ما يرتفع بالابتداء، او بالفعل، فجعلوا وصفه اذا كان مفرداً بمنزلته"[٤٣].

ومما انتصب على الفعل المتروك اظهاره، حين كثر في كلامهم، قولهم: من انت زيداً، زعم "يونس انه على قوله: من انت تذكرُ زيداً، ولكنه كثر في كلامهم واستعمل واستغنوا عن اظهاره، فانه قد عُلم ان زيداً ليس خبراً (ولا مبتدأ)، ولا مبنياً على مبتدأ، فلا بدّ من ان يكون على الفعل"[٤٤].

وقد تضمر "كان" كما في قول العرب: أما انت منطلقاً انطلقت معك، فهو على اضمار "كان" وشاهده قول الشاعر، وهو عباس بن مرداس:

---

[٣٩] نفسه.

[٤٠] نفسه، ص ٢٩١.

[٤١] نفسه.

[٤٢] الكتاب، ج ٢، ص ١٨٢.

[٤٣] نفسه، ص ١٨٣.

[٤٤] الكتاب، ج ١، ص ٢٩٢.

أبا خُراشةَ أمّا انتَ ذا نفرٍ فإن قوميَ لم تأكُلْهُمُ الضَّبُعُ

ويحلل سيبويه "أمّا" فيقول: فانما هي "أن" ضُمّت اليها "ما" وهي "ما" التوكيد، ولزمت كراهية ان يُجحفوا بها لتكون عوضاً من ذهاب الفعل، كما كانت الهاءُ والألف عوضاً في الزنادقة واليماني من الياء"[٤٥]. ويقرر ان أما لا يُذكر بعدها الفعل المضمر ويقول: فان اظهرت الفعل قلت: إما كنت منطلقاً انطلقتُ، انما تريدُ: ان كنت منطلقاً انطلقت، فحذف الفعل لا يجوز ههنا (أي مع إمّا) كما لم يجز ثَمَّ اظهاره (مع أما) لأن "أمّا" كثرت في كلامهم واستعملت حتى صارت كالمثل المستعمل"[٤٦].

ومما ينتصب على الفعل المحذوف لكثرة الاستعمال قولهم: مرحباً واهلاً، "فانما رأيت رجلاً قاصداً الى مكانٍ او طالباً امراً فقلت: مرحباً واهلاً، أي ادركت ذلك واصبت، فحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم اياه، وكأنه صار بدلاً من رَحُبَتْ بلاذك وأهِلتْ، كما كان "الحَذَرَ" بدلاً من احذَر""[٤٧].

ج- اضماره فيما صار بمنزلة المثل

وكما نرى فإن من اسباب حذف الفعل كثرته في كلامهم، ويخصص سيبويه باباً لما يُحذف منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل[٤٨]، ومن امثلة هذا الباب قولهم: "هذا ولا زَعَماتِك. أي : ولا اتوهَّمُ زَعَماتِك". ومنه قول ذي الرُّمة:

ديارَ مَيَّةَ إذ ميٌّ مساعفةٌ ولا يرى مثلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ

"كأنه قال: اذكر ديار مَيّة. لكنه لا يذكر "اذكر لكثرة ذلك في كلامهم"... ومن ذلك قول العرب: كِلَيْهما وتمراً، فهذا مثل قد كثر في كلامهم واستعمل، وترك ذكر الفعل... كأنه قال: اعطني كليهما وتمراً. ومن ذلك قولهم: كلَّ شيء ولا هذا، وكلَّ شيء ولا شتيمة حُرٍّ، أي ائتِ كل شيء ولا

---

[٤٥] نفسه، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

[٤٦] نفسه، ص ٢٩٤.

[٤٧] نفسه، ص ٢٩٥.

[٤٨] نفسه، ص ٢٨٠.

ترتكب شتيمة حُرٍّ، فحذف لكثرة استعمالهم اياه، ومن العرب من يقول: كلاهما وتمراً، كأنه قال كلاهما لي ثابتانِ وزدني تمراً"[٤٩]... أي يضمر خبراً ثم يضمر فعلاً.

ويتطرق سيبويه للآية الكريمة "انتهُوا خيراً لكم" (الآية ١٧١ من سورة النساء) ولما يشابهها من الصيغ في حال الأمر مثل:وراءك اوسعَ لك"، و"حسبُك خيراً لك" فيقول: "وانما نصبت خيراً لك واوسع لك، لأنك حين قلت: " انتهِ" فأنت تريد ان تخرجه من امرٍ وتدخله في آخر. وقال الخليل: كأنك تحمله على ذلك المعنى، كأنك قلت: انتهِ وادخل فيما هو خير لك، فنصبته لأنك قد عرفت انك اذا قلت له: انتَهِ، انك تحمله على امرٍ آخر، فلذلك انتصب، وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم اياه في الكلام، ولعلم المخاطب انه محمول على امرٍ حين قال له انتَهِ، فصار بدلاً من قوله: ائتِ خيراً (لك)، وادخل فيما هو خير لك"[٥٠].

ويكمل سيبويه: "ونظير ذلك في الكلام قوله: انتَهِ يا فلانُ امراً قاصداً. فانما قلت: انتَهِ وأتِ امراً قاصداً، الا ان هذا يجوز لك فيه اظهار الفعل، فانما ذكرت لك ذا لأمثل لك الأول به"[٥١].

وفي تعليق سريع على ما اورده سيبويه يبدو لي ان كلاً من الخليل وسيبويه قد قصدا الى اضمار فعل ينصب "خيراً"، على خلاف ما ظنه الدكتور مهدي المخزومي في كتابه "في النحو العربي – نقد وتوجيه" حيث يقول تعليقاً على ما ورد على لسان الخليل: "والخليل في هذا لم ينسب نصب (خيراً) الى فعل ولكنه نسبه الى وقوعه في سياق فعل دلت عليه قرائن القول ومناسباته وقوله: (كأنك قلت: انتهِ، وادخل فيما هو خير لك) لا يُشعِر بفعل ناصب، ولا نصّ فيه على فعل بعينه"[٥٢]. ولكن الملاحظ ان سيبويه حين بدأ الكلام على الآية المذكورة قال: "ومما ينتصب في هذا الباب على اضمار

---

[٤٩] نفسه، ص ٢٨٠ – ٢٨١.

[٥٠] نفسه، ص ٢٨٣ – ٢٨٤.

[٥١] نفسه، ص ٢٨٤.

[٥٢] مهدي المخزومي، في النحو العربي – نقد وتوجيه، ص ٢١٠.

الفعل المتروك اظهاره"[٥٣]. ثم ان قوله : "تريد ان تخرجه من امرٍ وتدخله في آخر" يشعر بالكلام على فعل امر. اضافة الى هذا فقول الخليل ينص على انهم "حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم اياه في الكلام"، ولكن الحرج من ادخال مضمر على الآية الكريمة هو الذي منعه من التمثيل صراحةً، والملاحظ انه يستعمل "انتهِ" بدلاً من "انتهوا" "وأتِ خيراً" وذلك كله لتجنب "التدخل" في النص القرآني.

د- اضماره اذا دلّ عليه دليل

ويُضمر الفعل اذا دلّ عليه ما قبله مثل قول ابن قميئة:

تذَكّرَتْ أرضاً بها أهلُها أخوالَها فيها وأعمامَها[٥٤]

ويعلّق سيبويه على هذا القول: "لأن الأخوال والأعمام قد دخلوا في التذكُّر"[٥٥]. ومما يُضمر فيه الفعل التمني مثل قول الخليل: "ألا رجُلَ إمّا زيداً واما عمراً، لأنه حين قال: ألا رجُلَ، فهو متمنٍ شيئاً يسأله ويريده، فكأنه قال: اللهم اجعله زيداً أو عمراً، او وفق لي زيداً أو عمراً"[٥٦]. ومعنى التمني يكون في مثل: "اللهم غلاماً ومعناه اللهم هبْ لي غلاماً"[٥٧].

هـ- اضماره في اسلوب المفاعلة

واضمار الفعل يكون ايضاً في اسلوب المفاعلة كقول الشاعر، وهو عبد بني عبس:

قد سالَمَ الحيّاتُ منه القدما الأُفعوانَ والشجاعَ الشجْعَما

[٥٣] الكتاب، ج ١، ص ٢٨٢.

[٥٤] نفسه، ص ٢٨٥.

[٥٥] نفسه، ص ٢٨٦.

[٥٦] نفسه.

[٥٧] الكتاب، ج ٢، ص ٣٠٩.

وذاتَ قرنين ضموزاً ضِرْزِما

"فانما نصب الأفعوان والشجاع لأنه قد عُلم ان القدم ههنا مسالِمة كما انها مسالَمة، فحمل الكلام على انها مسالِمة"(٥٨). ومثل هذا قول اوس بن حَجَر:

تواهِق رِجلاها يداها ورأسُهُ لها قَتَبٌ خَلْفَ الحقيبة رادفُ

وقد رُفِعت "يداها" على تقدير فعل لأن الفعل المذكور على اسلوب المفاعلة، فاليدان مواهِقتان كما انهما مواهَقتان.

و- نصب المصادر بالفعل المتروك اظهاره

ومن المصادر ما ينصب على اضمار غير المستعمل اظهاره، مثل: سقياً ورعياً وبُعداً وسُحقاً. ونحو قول ابن ميادة(٥٩) :

تفاقَدَ قومي إذ يبيعون مُهجَتي بجاريةٍ بَهراً لهمْ بعدها بَهْرا

أي تبّاً.

ومثله:

ثمَّ قالوا: تُحِبُّها، قلتُ: بَهراً عَدَدَ النَّجمِ والحَصَى والتُّرابِ

"كأنه قال: جَهْداً".

ويعلّل سيبويه النصب في هذا على انه دُعاء لشخص قد ذُكر او هو دعاء عليه، على اضمار الفعل(٦٠). ويضيف: "وانما اختُزل الفعل ها هنا لأنهم جعلوه بدلاً من اللفظ بالفعل، كما جُعل "الحَذَرَ" بدلاً من احذر... وما جاء منه لا يظهر له فعل فهو على تمثيل هذا المثال نصب، كأنك جعلت بَهراً

---

(٥٨) الكتاب، ج ١، ص ٢٨٧.

(٥٩) نفسه، ص ٣١١.

(٦٠) نفسه، ص ٣١٢.

بدلاً من بَهَرَك الله، فهذا تمثيل ولا يُتكلَّم بـه". ويعقد سيبويه باباً لمصادر تنتصب باضمار الفعل المتروك اظهاره ولكنها مصادر وُضعت موضعاً واحداً لا تتصرّف في الكلام تصرف ما ذكرنا من المصادر. وتصرفها انها تقع في موضع الجر والرفع وتدخلها الألف واللام"[٦١]. أي ان هذه المصادر لا تدخلها الألف واللام ولا تقع في موضع الجر والرفع. وامثلة هذه المصادر هي : سُبحان اللهِ، ومعاذَ اللهِ، وعَمْرَك اللهَ ألاّ فعلت، "كأنه حيث قال: سبحان اللـه، قال : تسبيحاً... فنصب هذا على اسبّح الله تسبيحاً... وخُزل الفعل ههنا لأنه بدل من اللفظ بقولك: أسبِّحك... وكأنه حيث قال: عَمرَك الله وقِعدَك الله، قال: عمّرتك الله؛ بمنزلة نشدتك الله، فصارت عمرك الله منصوبة بعمّرتُك اللهَ، كأنك قُلتَ عمّرتُك عَمراً"[٦٢]. ويورد قول الشاعر:

عمَّرتُك اللهَ إلاّ ما ذَكَرتِ لنا هل كنتِ جارتَنا أيامَ ذي سَلَمِ

ليؤكد اضمار "عمرتُك" لنصب "عَمرَك". ويقول: "فقِعدَك اللهَ يجري هذا المجرى وان لم يكن له فعل"[٦٣].

ثم يعقد باباً لمصادر تنتصب سواء دخلها الألف واللام ام لا، ويمثل عليها بمثل: "ما انت الا سيراً؛ والا سيراً سيراً، وما انت الا الضربَ الضربَ وما انت الا قتلاً قتلاً، وما انت الا سيرَ البريد سيرَ البريد، فكأنه قال في هذا كله: ما انت الا تفعل فعلاً، وما انت الا تفعل الفعل، ولكنهم حذفوا الفعل"[٦٤] لأن المصدر يصير في الإخبار والاستفهام بدلاً من اللفظ بالفعل.

---

[٦١] نفسه، ص ٣٢٢.

[٦٢] نفسه.

[٦٣] نفسه، ص ٣٢٣.

[٦٤] نفسه، ص ٣٣٥.

هذا في الإخبار، اما امثلة الاستفهام في هذا الباب فقولك: اقياماً يا فلانُ والناسُ قعودٌ، وأجلوسا والناس يعدون"[٦٥]. ومن ذلك قول الراجز، "وهو العجّاج:

أطَرَباً وأنت قِنَّسريٌّ

وانما اراد اتطربُ"[٦٦].

ويعلق سيبويه ان الفعل "صار في الاستفهام والخبر بمنزلته في الأمر والنهي لأن الفعل يقع ههنا كما يقع فيهما، وان كان الأمر والنهي اقوى لأنهما لا يكونان بغير فعل"[٦٧].

ز – الأسماء التي اخذت من الأفعال او التي لم تؤخذ منها

وعلى هذا انتصاب الأسماء التي اخذت من الأفعال في حال الاستفهام او عدمه من مثل: "أقائماً وقد قعد الناس" و "قائماً قد عَلِمَ اللهُ وقد قعد الناسُ". يحذف الفعل في هذا استغناءَ بما يرى من الحال، ويصير الاسم بدلاً من اللفظ بالفعل[٦٨]. ويتبع هذا الاسماء التي لم تؤخذ من الفعل مثل قولك: "أتميمياً مرةً وقيسياً اخرى"[٦٩] وهو يحتاج الى تقدير فعل ليس من لفظه، "فصار بدلاً من اللفظ بقولك: أتتمّمُ مرةً وتتقيّسُ اخرى"[٧٠] (لأن الفعل هنا اخذ من الاسم). واوضح من هذا في التمثيل على الاسم الذي لم يؤخذ من الفعل قول رجل من بني اسدٍ "استقبلهُ بعيرٌ اعورُ فتطيَّر منه، فقال: يا بني أسد، أعورَ وذا ناب!"[٧١] ومثله قول الشاعر:

أفي السِّلْم أعياراً جَفاءً وغِلظةً وفي الحرب اشباهَ الإماءِ العوارِكِ

---

[٦٥] نفسه، ص ٣٣٨.

[٦٦] نفسه.

[٦٧] نفسه، ص ٣٣٥.

[٦٨] نفسه، ص ٣٤٠.

[٦٩] نفسه، ص ٣٤٣.

[٧٠] نفسه، ص ٣٤٥.

[٧١] نفسه، ص ٣٤٣.

ويعلق سيبويه على هذا بالقول: "ولو مثّلت ما نصبت عليه الأعيارَ والأعورَ في البدل من اللفظ لقلت: اتعيَّرون مرةً، وأتعوّرون اذا اوضحت معناه، لأنك انما تجريه مجرى ما له فعل من لفظه، وقد يجري مجرى الفعل ويعمل عمله، ولكنه كان احسن ان توضحه بما يتكلم به اذا كان لا يغير معنى الحديث. وكذلك هذا النحو ولكنه يترك استغناءً بما يحسن من الفعل الذي لا ينقض المعنى"(٧٢). أي يؤكد على عدم نقض المعنى واستخدام الفعل المستعمل والمضمر. ويعلل سيبويه اختيار النصب في مثل هذا بقوله "وانما كان النصبُ هاهنا الوجهَ لأنه موضع يكون الاسم فيه معاقباً للفظ بالفعل"، أي ان الاسم في هذا الموضع يأتي بعد الفعل، وهو لا يستبعد الرفع ايضاً اذ يقول "والرفع جيدٌ لأنه المحدث عنه والمستفهم ولو قال: أعور وذو ناب، كان مصيباً"(٧٣).

ح- المصادر المثنّاة

ومما ينتصب على الفعل المتروك اظهاره ما يجيء من المصادر مثنى من مثل: حنانيك ولبيك وسعديك ودواليك. يقول سيبويه: "ومعنى تثنية دواليك انه فعل من اثنين، لأني اذا داولت فمن كل واحد منا فعل"(٧٤). ويمثل على "لبيك" و"سعديك" بأنه يقال للرجل المداوم على الشيء لا يفارقه ولا يقلع عنه: قد البَّ فلان على كذا وكذا. ويقال: قد اسعد فلانٌ فلاناً على امره وساعده، فالإلباب والمساعدة دنو ومتابعة... فكأنه اذا قال الرجل للرجل: يا فلان، فقال لبيك وسعديك، فقد قال له: قرباً منك ومتابعة لك. فهذا تمثيل وان كان لا يستعمل في الكلام"(٧٥).

(٧٢) نفسه، ص ٣٤٥.

(٧٣) نفسه، ص ٣٤٧.

(٧٤) نفسه، ص ٣٥١.

(٧٥) نفسه، ص ٣٥٣.

ط- المصدر المشبه به

وينتصب على الفعل المتروك اظهاره المصدر المشبه به والمثل على ذلك: مررت به فاذا له صوتٌ صوتَ حمار. يقول سيبويه "فانما هذا لأنك مررت به في حال تصويت، ولم ترد ان تجعل الآخر صفة للأول ولا بدلاً منه[٧٦]. ولكنك لمّا قلت: له صوتٌ، عُلم انه قد كان ثَمَّ عملٌ، فصار قولك: له صوت بمنزلة قولك: فاذا هو يصوّت، فحملت الثاني على المعنى"[٧٧]. أي انه حذف الفعل وصار "له صوتٌ" بدلاً منه.

ويشرح سيبويه مسألة نصب المصدر المشبه به فيقول: "فاذا قلت: مررت به فاذا هو يصوّتُ صوتَ الحمار فعلى الفعل غير حال. فان قلت: صوتَ حمارٍ فالقيت الألف واللام فعلى اضمارك فعلاً بعد الفعل المظهر سوى الفعل المظهر، وتجعل صوت حمارٍ مثالاً عليه يخرج الصوت او حالاً، كما اردت ذلك حين قلت: فاذا له صوتٌ. وان شئت اوصلت اليه يصوّت، فجعلته العامل فيه، كقولك: يذهب ذهاباً"، أي انه بدخول الألف واللام يصل الفعل المظهر ويكون العامل، اما اذا القيت الألف واللام فعلى اضمار فعل، ويتابع: "ويدلُّك على انك اذا قلت: فاذا له صوتٌ صوتَ حمارٍ، فقد اضمرت فعلاً بعد "له صوتٌ"، وصوت حمارٍ انتصب على انه مثال او حال يخرج عليه الفعل - انك اذا اظهرت الفعل الذي لا يكون المصدر بدلاً منه احتجت الى فعلٍ آخر تضمره. فمن ذلك قول الشاعر:

اذا رأتني سَقطتْ أبصارُها   دأبَ بكارٍ شايحت بِكارُها

ويكون على غير الحال، وان شئت بفعل مضمرٍ، كأنك قلت: تدأبُ، فيكون ايضاً مفعولاً وحالاً، كما يكون غير حال"[٧٨].

---

[٧٦] يقول السيرافي: يعني انك لم ترد ان تجعله نعتاً ولا بدلاً منه فترفع.

[٧٧] الكتاب، ج ١، ص ٣٥٦.

[٧٨] نفسه، ص ٣٥٦ - ٣٥٨. ويفسر السيرافي بقوله: "اعلم ان مذهب سيبويه انه اذا جاء بالمصدر بفعل ليس من حروفه كان باضمار فعل من لفظ ذلك المصدر. فمن اجل هذا استدل على اضمار فعل بعد قوله "له صوت" بهذا الشعر، لأن قوله "دأب بكار" منصوب وليس قبله فعل من لفظه، فأضمر دأبت وتدأب".

ي- في الاختصاص

وفي حذف الفعل، او بالأحرى تقديره، في الاختصاص فان سيبويه يقيسه على موضع النداء نصباً "لأن موضع النداء نصبٌ، ولا تجري الأسماء فيه مجراها في النداء، لأنهم لم يُجروها على حروف النداء، ولكنهم اجروها على ما حمل عليه النداء. وذلك قولك: انّا معشَرَ العرب نفعل كذا وكذا، كأنه قال: اعني، ولكنه فعلٌ لا يظهر ولا يُستعمل كما لم يكن ذلك في النداء، لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب، وانهم لا يريدون ان يحملوا الكلام على اوله، ولكن ما بعده محمول على اوله"[٧٩]. أي ان خبر " إن" في إنّا معشر العرب نفعل كذا وكذا هو جملة " نفعل": فيما "معشر العرب" كأنها قد ذُكرت "افتخاراً وابتهاء"[٨٠].

ك- النصب على التعظيم والمدح والترحُّم

ومما يشبه الاختصاص في الافتخار والابتهاء ولكنه لا يجري مثله على النداء – النصب على التعظيم والمدح، "وذلك قولك: الحمد لله الحميدَ هو، والحمد لله اهلَ الحمد، والملك لله اهلَ الملك"[٨١]. ويجيز سيبويه ان تجعله على الصفة مثل : الحمد لله اهلِه، او ان تقطعه فتبتدئه، كما قال مُهَلْهِلٌ:

ولقد خَبَطن بيوتَ يَشْكُرَ خبطةً　　　　أخوالَنا وهُمُ بنو الأعمامِ

كأنه حين قال: خبطن بيوت يشكر قيل له: وما هم؟ فقال: اخوالنا وهم بنو الأعمام"[٨٢]. ويورد سيبويه قول بعض العرب: الحمد لله ربَّ العالمين، ويقول انه سال عنها يونس فزعم انها عربية. ويمثل على

---

[٧٩] الكتاب، ج ٢، ص ٢٣٣.

[٨٠] نفسه، ص ٦٦.

[٨١] نفسه، ص ٦٢.

[٨٢] نفسه، ص ١٦.

النصب على التعظيم والمدح بما ورد في كتاب الله فيورد الاية ١٦٢ من سورة النساء: "لكِن الراسخون في العِلْمِ منهم والمؤمنون يؤمنون بما أُنزِل اليك وما أُنزِل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة" ويعلّق بأن يقول: "فلو كان كله رفعاً كان جيداً. فأما المؤتون فمحمول على الابتداء"[٨٣]. ويتبع هذه الاية بالآية ١٧٧ من سورة البقرة " ولكنَّ البرَّ مَنْ آمن بالله واليوم الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيين وآتى المالَ على حُبِّهِ ذوي القُربى واليتامى والمساكين وابنَ السبيلِ والسائلين وفي الرِّقابِ واقام الصلاة وآتى الزكاةَ والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس"، يقول سيبويه: ولو رفع الصابرين على اول الكلام كان جيداً، ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كان جيداً كما ابتدأت في قوله: "والمؤتون الزكاة "[٨٤].

ويورد زعم عيسى من انه سمع ذا الرُمَّةِ يُنشد هذا البيت نصباً:

لقد حَمَلتْ قيسُ بن عيلانَ حربَها	على مُستَقلٍّ للنّوائب والحربِ
أخاها اذا كانت عِضاضاً سما لها	على كلِّ حالٍ من ذَلولٍ ومن صَعْبِ

ويفسِّر: "زعم الخليل ان نصب هذا على انك لم ترد ان تُحدِّث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت، فجعله ثناءً وتعظيماً ونصبه على الفعل، كأنه قال: اذكر اهل ذاك، واذكر المقيمين، ولكنه فعل لا يستعمل اظهاره"[٨٥]. ويجري الاضمار في الشتم كما جرى في المدح والتعظيم ويمثل عليه سيبويه بأنك تقول: "أتاني زيدٌ الفاسقَ الخبيثَ، لم يرد ان يكرره ولا يعرِّفك شيئاً تنكره، ولكنه شتمه بذلك". ويضيف: "وبلغنا ان بعضهم قرأ هذا الحرف نصباً: "وامرأتُهُ حمالةَ الحطبِ"، لم يجعل الحمالة خبراً للمرأة، ولكنه كأنه قال: اذكر حمالة الحطب شتماً لها، وان كان فعلاً لا يُستعمل اظهارُه"[٨٦].

---

[٨٣] نفسه، ص ٦٣.

[٨٤] نفسه، ص ٦٣-٦٤.

[٨٥] نفسه، ص ٦٥ – ٦٦.

[٨٦] نفسه، ص ٧٠.

وينقل زعم يونس من انه سمع الفرزدق ينشد:

كم عمةٍ لكَ يا جريرُ وخالةٍ فَدْعاءَ قد حلَبت عليَّ عِشاري

شغّارةً تَقِذُ الفصيلَ برجلها فطّارةً لـقـوادم الأبـكـارِ

ويعلق بأنه "جعله شتماً، وكأنه حين ذكر الحلب صار من يخاطب عنده عالما بذلك"(٨٧).وهو يفرق بينه وبين قول حسان بن ثابت:

حارِ بنَ كعب ألا أحلامَ تزجرُكم عنّي وانتم من الجُوفِ الجماخِيرِ

لا بأسَ بالقوم من طولٍ ومن عِظَمٍ جسمُ البغال وأحلام العصافيـرِ

فيقول: "فلم يرد ان يجعله شتماً، ولكنه اراد ان يعدِّد صفاتهم ويفسِّرها، فكأنه قـال: أمّا اجسـامكم فكذا واما احلامكم فكذا. وقال الخليل رحمه الله: لو جعله شتماً فنصبه على الفعل كان جـائزاً"(٨٨). واحياناً ينصب ما كان صفة على معنى الفعل دون ارادة المدح او الذم، ويورد سيبويه البيت التالي:

وما غرّني حَوْزُ الرِّزاميِّ مِحْصَناً عَواشِيَها بالجوّ وهو خصيبُ

ويفسر هذا بقوله: "ومِحصَنٌ اسمُ الرِّزامي، فنصبه على اعني، وهو فعل يظهر، لأنه لم يرد اكثر من ان يعرّفه بعينه، ولم يرد افتخاراً ولا مدحاً ولا ذماً"(٨٩).

امّا الترحُّم فيكون "بالمسكين والبائس ونحوه، ولا يكون بكل صفةٍ ولا كل اسم، ولكن ترحَّم بما ترحّم به العرب"(٩٠). وشاهده عند سيبويه:

فأصبحَتْ بقَرْقَرَى كوانِسا فلا تلُمْهُ أنْ ينامَ البائسا

ويورد قول الخليل من اجازته الترحم في مثّل مررت به المسكينِ على البدل او يجوز رفعه او نصبه.

(٨٧) نفسه، ص ٧٣ – ٧٤.

(٨٨) نفسه.

(٨٩) نفسه، ص ٧٤.

(٩٠) نفسه، ص ٧٤ – ٧٥.

ل- القَسَم

والقسم فيه فعل مضمر عند سيبويه كأن حروف الجر التي تدخل على المحلوف به قد سبقها فعل كما هو الأمر مع "مررتُ به". ويشرح سيبويه الأمر بقوله: "وللقسم والمقسَم به ادوات في حروف الجر، واكثرها الواو، ثم الباء، يدخلان على كل محلوف به، ثم التاء، ولا تدخل الا في واحد، وذلك قولك: والله لأفعلنّ، وبالله لأفعلنّ، وتالله لأكيدنّ اصنامكم. وقال الخليل: انما تجيء بهذه الحروف لأنك تضيف حلفَكَ الى المحلوف به كما تضيف مررتُ بالباء، الا ان الفعل يجيء مضمراً في هذا الباب والحلف توكيد"(٩١).

م- الاشتغال

اما الاشتغال فيسميه سيبويه "باب ما يكون فيه الاسم مبنياً على الفعل قُدِّمَ او أُخِّرَ وما يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم"(٩٢). ويوضح فيه بناء الفعل على الاسم ورفعه بالابتداء ثم يخرِّج ما جاء نصباً على اضمار فعل. فيقول: " فاذا بنيت الفعل على الاسم قلتَ: زيدٌ ضربتُه، فلزمته الهاء. وانما تريد بقولك مبنيٌّ عليه الفعل انه في موضع "منطلق" اذا قلتَ: عبدُ الله منطلقٌ، فهو في موضع هذا الذي بُني على الأول وارتفع به، فانما قلت عبدُ الله فنسبته له ثم بنيت على الفعل ورفعته بالابتداء... وان شئت قلتَ: زيداً ضربتُه، وانما نصبه على اضمار فعل هذا يفسِّره، كأنك قلتَ: ضربتُ زيداً ضربتُه، الا انهم لا يظهرون هذا الفعل هنا للاستغناء بتفسيره. فالاسم ها هنا مبنيٌّ على هذا المضمر"(٩٣). ويذكر قراءة بعضهم "وامّا ثمودَ فهديناهم" (سورة فُصِّلَت، الآية ١٧) وكذلك انشاد بيت بشر بن خازم على وجهين النصب والرفع:

---

(٩١) الكتاب، ج ٣، ص ٤٩٦ – ٤٩٧.

(٩٢) نفسه، ص ٨٠.

(٩٣) الكتاب، ج ١، ص ٨١.

فامّا تميمٌ تميمُ بنُ مُرٍّ　　　فألفاهُم القومُ رَوْبَى نياما

ويقول في: " زيدٌ مررتُ به" انه بعيد من النصب، "لأن المضمر (أي الضمير) قد خرج من الفعل واضيف الفعل اليه بالباء، ولم يوصل اليه الفعل في اللفظ... وان شئت قلت: زيداً مررتُ به تريد ان تفسِّر به مضمراً (أي ان تفسر بالفعل المذكور فعلاً مقدراً)، كأنك قلت اذا مثّلت ذلك: جعلتُ زيداً على طريقي مررتُ به، ولكنك لا تظهر هذا الأول... واذا قلت: زيدٌ لقيت اخاه فهو كذلك، وان شئت نصبت، لأنه اذا وقع على شيء من سببه فكأنه قد وقع به... واذا نصبت: زيداً لقيتُ اخاه، فكأنه قال: لابستُ زيداً لقيتُ اخاه. وهذا تمثيلٌ ولا يُتكلَّمُ به"[٩٤].

---

[٩٤] نفسه، ص ٨٣.

فـــي اضـــمـــار الاســـم

ينقسم اضمار الاسماء في الجملة الاسمية بين المبتدأ والخبر لتتم الجملة من مسند ومسند اليه، لذلك كان لا بُدَّ من تقدير احدهما في حال لم يكن الكلام جملة تامة، وهما "عمدة" في الجملة الاسمية لا غنى عن أي منهما. وبما ان النواسخ قد تدخل على الجملة الاسمية فالعلاقة مماثلة ولا بد من التقدير. اما الفاعل فاضماره قليل لأنه ركن اساسي في الجملة الفعلية، لكنه يستبدل احياناً بنائب الفاعل، ويمكن اضماره في التنازع لأن اول الفعلين، عادةً، يكون "مُعمَلاً في المعنى وغير مُعمل في اللفظ، والآخر مُعمَل في اللفظ والمعنى" بتعبير سيبويه.

١ – المبتدأ

أ– اضمار المبتدأ اذا دلّ عليه دليل

يحذف المبتدأ او يضمر (جوازاً) عند سيبويه اذا دلّ عليه دليل وهو يعبر عن ذلك بقوله: "وذلك انك اذا رأيت صورة شخصٍ فصار آيةً لك على معرفة الشخص فقلت: عبدُ الله وربيّ، كأنك قلت ذاك عبد الله، او هذا عبد الله. او سمعت صوتاً فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت: زيدٌ وربي. أومسِستَ جسداً أو شممتَ ريحاً فقلتَ: زيدٌ، او المسكُ. أو ذقتَ طعاماً فقلت: العسلُ. ولو حُدِّثتَ عن شمائل رجل فصار آيةً لك على معرفته لقلت: عبدُ الله. كأن رجلاً قال: مررتُ برجلٍ راحمٍ للمساكين بارٍّ بوالديه، فقلتَ: فلانٌ والله"[٩٥].

وفي تخريجه لقول عدي بن زيد[٩٦]:

أرواحٌ مُوَدِّعٌ أم بُكورُ أنتَ فانظر لأيِّ ذاك تصيرُ

---

[٩٥] الكتاب، ج ٢، ص ١٣٠.

[٩٦] الكتاب، ج ١، ص ١٤٠.

يقول: "فانه على ان يكون في الذي يرفع على حالة المنصوب في النصب"[٩٧]... وقد يجوز ان يكون انتَ على قوله: انت الهالك (أي انت مبتدأ والخبر مقدّم)... ويجوز ايضاً على قوله: شاهِداك، أي ما ثبت لك شاهداك"[٩٨] (أي الذي ثبت لك شاهداك)، وهذا يعني ان انت هي الخبر والمبتدأ مقدّر. ويجعل التقدير في قوله تعالى "طاعةٌ وقولٌ معروفٌ" (الآية ٢١ من سورة محمد) أما على تقدير مبتدأ او على تقدير خبر، يقول: "فإما ان يكون اضمر الاسم وجعل هذا خبره كأنه قال: أمري طاعة وقول معروف، او يكون اضمر الخبر فقال: طاعةٌ وقولٌ معروفٌ امثلُ"[٩٩].

ويضمر المبتدأ عند سيبويه بعد "إمّا" احياناً، اذ يقول في قول الشاعر[١٠٠]:

لقد كذبتك نفسُك فاكذِبَنْها ... فإنْ جَزَعاً وإن إجمالَ صبرِ

"فهذا على إما، وليس ان الجزاء... ولو قلت: فإن جزعٌ وان اجمالُ صبرٍ، كان جائزاً، كأنك قلت: فإما امري جَزَعٌ واما اجمالُ صبرٍ". ويقول في موضع آخر :" وقد يجوز ان تقول: الا رَجُلَ إما زيدٌ وإما عمرو، كأنه قيل له: من هذا المتمنى؟ فقال: زيدٌ أو عمرو"[١٠١].

ب- اضماره اذا كان الخبر مصدراً يقع موقع الفعل

ويضمر المبتدأ اذا كان الخبر مصدراً يقع موقع الفعل او ينوب عنه فعله، يقول سيبويه: "وسمعنا بعض العرب الموثوق به، يقال له: كيف اصبحت؟ فيقول: حمدُ الله وثناءٌ عليه، كأنه يحمله على مضمر في نيته هو المظهر، كأنه يقول: أمري وشأني حمد الله وثناءٌ عليه... وهذا مثل بيت سمعناه من بعض العرب الموثوق به يرويه:

---

[٩٧] بكلام السيرافي: ان ترفع انت بفعل مضمر يفسره المظهر.

[٩٨] الكتاب، ج ١، ص ١٤١.

[٩٩] نفسه.

[١٠٠] نفسه، ص ٢٦٧.

[١٠١] نفسه، ص ٢٨٩. والملاحظ ان صيغة الاستفهام يليها جواب فيه حذف للمبتدأ، أي: هذا زيدٌ.

فقالت: حنانٌ، ما أتى بك ههنا أذو نَسَبٍ أمْ أنت بالحيِّ عارفُ؟

لم تُرِد حنّ، ولكنها قالت: امرُنا حنانٌ، او ما يصيبنا حنانٌ وفي هذا المعنى كله معنى النصب... ومثل ذلك قول الشاعر:

يشكو اليّ جَمَلي طُولَ السُّرَى صَبْرٌ جَميلٌ فكلانا مبتلى

والنصب اكثر واجود، لأنه يأمره. ومثل الرفع: "فصبر جميل والله المستعان" (الآية ١٨ من سورة يوسف) كأنه يقول: الأمر صبرٌ جميلٌ. والذي يرفع عليه حنانٌ وصبرٌ وما اشبه ذلك لا يستعمل اظهاره، وترك اظهاره كترك اظهار ما ينصب فيه"[١٠٢].

ج- اضماره في التعظيم والمدح والذم والترحم

ويضمر المبتدأ اذا اخبر عنه بنعت مقطوع الى الرفع في معرض التعظيم او المدح او الذم او الترحم، يقول سيبويه في "باب ما ينتصب على التعظيم والمدح"[١٠٣] : "وان شئت جعلته صفةً فجرى على الأول، وان شئت قطعته فابتدأته. وذلك قولك: الحمد لله الحميدَ هو، والحمد لله اهلَ الحمد... ولو ابتدأته فرفعته كان حسناً، كما قال الأخطل:

نفسي فداءُ أمير المؤمنين اذا أبدى النَّواجذَ يومٌ باسلٌ ذَكَرُ

الخائضُ الغَمْرَ والميمونُ طائره خليفةُ الله يُستسقى به المطَرُ

ومثله في الابتداء قول ابن خياط العُكليّ:

وكلُّ قومٍ أطاعوا أمْرَ مُرشدهمْ الا نُميراً أطاعتْ أمرَ غاويها

الظاعنين ولمّا يُظعنوا أحداً والقائلون لِمَنْ دارٌ نخليها[١٠٤]

---

[١٠٢] نفسه، ص ٣١٩ – ٣٢٠ و ٣٢١.

[١٠٣] الكتاب، ج ٢، ص ٦٢.

[١٠٤] نفسه، ص ٦٤.

حيث رفع "القائلون" على اضمار مبتدأ، وهذا البيت في ذمهم.

وقال عروة الصعاليك العبسي:

سَقوني الخمر ثم تكنَّفوني عُداةَ الله من كذِبٍ وزورِ

ويورد قول النابغة:

لَعَمري وما عمري عليَّ بهيّن لقد نطَقَتْ بُطلاً عليّ الأقارِعُ

أقارعُ عَوفٍ لا أحاولُ غيرها وجوهَ قرود تبتغي من تجادعُ

ويقول: "وزعم يونس انك ان شئت رفعت البيتين جميعاً على الابتداء، تضمر في نفسك شيئاً لو اظهرته لم يكن ما بعده الا رفعاً"[١٠٥].

وفي الترحم يقول: "وزعم الخليل انه يقول: مررتُ به المسكينِ، على البدل، وفيه معنى الترحم... وكان الخليل يقول: إن شئت رفعته من وجهين فقلت: مررتُ به البائسُ، كأنه لما قال مررتُ به قال المسكينُ هو، كما يقول مبتدئاً: المسكين هو، والبائسُ انتَ. وان شاء قال: مررت به المسكينُ هو، والبائسُ انتَ"[١٠٦].

د- اضماره مع نِعْمَ وبئس

ومما يضمر المبتدأ فيه عند سيبويه "نِعْمَ" و"بئس" وهما فعلان عنده[١٠٧]، وذلك في مثل : نِعْمَ الرجلُ عبدُ الله، أي عندما يكون فاعلهما محلّى "بأل"، ولتوضيح رأي سيبويه نورد ما قاله في هذا الشأن: "وأما قولهم نِعْمَ الرجلُ عبدُ الله فهو بمنزلة: ذَهَبَ اخوه عبد الله، عملَ "نِعْمَ" في الرجل ولم يعمل في عبد الله. واذا قال: عبدُ الله نِعْمَ الرجلُ فهو بمنزلة: عبد الله ذهب اخوه، كأنه قال نِعْمَ الرجلُ فقيل له من هو؟ فقال: عبد الله. واذا قال عبدُ الله فكأنه قيل له ما شأنه؟ فقال: نِعْمَ

---

[١٠٥] نفسه، ص ٧٠ - ٧١.

[١٠٦] نفسه، ص ٧٥.

[١٠٧] الكتاب، ج ٣، ص ٢٦٦.

الرجلُ"(١٠٨). أي كأن "عبد الله" في قوله "نِعْمَ الرجلُ عبد الله" خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو" لوجـود صيغة السؤال "من هو؟" اما في صيغة "عبد الله نِعْمَ الرجل" فعبد الله مبتدأ.

ويضمر المبتدأ ايضاً في مثل "قول بعض العرب: من انـت زيـدٌ، أي مـن انـت كلامـك زيـدٌ، فتركوا اظهار الرافع"(١٠٩).

هـ- لا سواء

ويذكر سيبويه قولهم: لاسواءٌ فيقول: " وانما دخلـت "لا" هنـا لأنهـا عـاقبت مـا ارتفعت عليـه سواء. الا ترى انك لا تقول هـذان لا سـواء"(١١٠). يقصـد كـأن "لا" دخلت بـدلاً مـن "هـذان" فصـارت "هذان" مبتدأ مضمراً. فلا مسند اليه بلا مسند لذا لا بد من التقدير.

و- بعد "بَل" و "لكن"

ويمكن اضمار المبتدأ بعد "بل" و" لكن"، فقولنا: "مررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٍ" و"مـا مـررتُ برجلٍ صالحٍ لكن طالحٍ" يكون على البدل " وان شئت رفعتَ فابتدأت على "هو" فقلت ما مررت برجل صالحٍ ولكن طالحٌ، وما مررت برجلٍ صالحٍ بـل طـالحٌ، ومـررت برجـلٍ صـالحٍ بـل طـالحٌ لأنهـا مـن الحروف التي يبتدأ بها. ومن ذلك قوله عزَّ وجلَّ: "وقالوا اتَّخذَ الرّحمنُ ولداً سُبحانَه بل عِبادٌ مُكرمون" فالرفع ههنا بعد النصب كالرفع بعد الجر" (١١١).

---

(١٠٨) الكتاب، ج ٢، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(١٠٩) الكتاب، ج ١، ص ٣٢١.

(١١٠) الكتاب، ج ٢، ص ٣٠٢.

(١١١) الكتاب، ج ١، ص ٤٣٥.

ز – وجه من الوجوه

وفي مثل "هذا عبد الله منطلقاً" يروي سيبويه عن يونس وابي الخطاب ما نقلوه عن العرب من قولهم: "هذا عبدُ الله منطلقٌ" فيذكر توجيه الخليل للعبارة فيقول على لسانه: "فوجهٌ انك حين قلت: هذا عبد الله منطلقٌ اضمرت هذا او هو، كأنك قلت: هذا منطلقٌ او هو منطلقٌ"[١١٢].

ح – بعد "اذا" الفجائية

يعد سيبويه "اذا" الفجائية من حروف الابتداء تصرف الكلام الى الابتداء الا ان يدخل عليها الناصب[١١٣]، ويضمر بعدها المبتدأ بدليل ما يقوله في "باب يذهب فيه الجزاء من الأسماء" حيث يقرر: "وتقول: مررتُ به فاذا من يأتيه يعطيه، وان شئت جزمت لأن الاضمار يحسن هاهنا. الا ترى انك تقول: مررت به فاذا اجملُ الناسِ، ومررتُ به فاذا أيُّما رجلٍ. فاذا اردت الاضمار فكأنك قلت: فاذا هو من يأتِهِ يعطِهِ"[١١٤]. ففي هذا الموضع المضمر (هو) المبتدأ ربما لوجود ضمير الغائب في "به"، وهذا على غير ما جاء في كتب النحو المتأخرة في مثل: "خرجتُ فاذا السبعُ"، التقدير: فاذا السبع حاضرٌ حيث يضمر الخبر[١١٥].

(على الهامش: يقول ابن يعيش ج١، ص ٩٤ – ٩٥ : "وتكون (اذا) بمعنى المفاجأة وهي في ذلك على ضربين تكون اسماً وتكون حرفاً واذا كانت اسماً كانت ظرفاً من ظروف الأمكنة واذا كانت حرفاً كانت من حروف المعاني الدالة على المفاجأة كما ان "إنْ" حرف دال على المجازاة والهمزة حرف دال على معنى الاستفهام، فاذا قلت خرجت فاذا السبع واردت به الظرفية لم يكن ثَمَّ حذف وكان السبع مبتدأ و"اذا" الخبر قد تقدم، كما تقول عندي زيد ويتعلق الظرف باستقرار محذوف فان

---

[١١٢] الكتاب، ج ٢، ص ٨٣.

[١١٣] الكتاب، ج ١، ص ٩٥.

[١١٤] الكتاب، ج ٣، ص ٧٦.

[١١٥] شرح ابن عقيل، تـ: الدكتور رمزي بعلبكي، ص ١١٥.

ذكرت اسماً آخر كان منصوباً على الحال نحو خرجت فاذا السبع واقفاً او عادياً والعامل في الحال الظرف، وان شئت رفعته على الخبر وجعلت الظرف من صلته، فان جعلتها حرفاً كان الخبر محذوفاً لا محالة والتقدير "خرجت" فاذا السبع حاضر او موجود لأن المبتدأ لا بد له من خبر ولا خبر لها ههنا ظاهراً فوجب ان يكون مقدراً. ويقول ابن هشام هي حرف عند الأخفش، ويرجّحه قولهم "خرجتُ فاذا إنّ زيداً بالباب" بكسر ان، لأن إن لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وظرف مكان عند المبرّد وظرف زمان عند الزجاج. واختار الأول ابن مالك، والثاني ابن عصفور، والثالث الزمخشري (مغني اللبيب، ج ١، ص ١٥٣ - ١٥٤).

٢- الخبر

أ- اضماره اذا دلّ عليه دليل

يضمر الخبر (جوازاً) عند سيبويه اذا دل عليه دليل او قام في السياق ما يوضحه ويشرح هذا بقوله: "وأما قوله عزّ وجلّ: "الزانيةُ والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدةٍ" وقوله تعالى: "والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهُما"، فان هذا لم يبنَ على الفعل، ولكنه جاء على مثل قوله تعالى: "مَثَلُ الجنَّة التي وُعِدَ المُتَّقون" ثم قال بَعْدُ: "فيها انهارٌ من ماءٍ"، فيها كذا وكذا، فانما وُضع المثل للحديث الذي بعده، فذكر اخباراً واحاديث، فكأنه قال: ومن القصص مثل الجنة، او مما يُقَصُّ عليكم مَثَلُ الجنة، فهو محمول على هذا الاضمار ونحوه. والله تعالى اعلم. وكذلك "الزانيةُ والزاني"، كأنه لما قال جلَّ ثناؤه: "سورةٌ انزلناها وفَرَضناها"، قال: في الفرائض الزانيةُ والزاني، او الزانية والزاني في الفرائض، ثم قال: فاجلدوا، فجاء بالفعل بعد ان مضى فيهما الرفع... وكذلك : "والسارقُ والسارقةُ" كأنه قال: وفيما فرضَ اللهُ عليكم السارقُ والسارقةُ، أو السارق والسارقةُ فيما فرض عليكم.

فانما دخلت هذه الأسماء بعد قصصٍ واحاديث"[١١٦]. ولا يقتصر هذا على ما جاء في القرآن اذ يقول سيبويه: "وقد يجري هذا في زيدٍ وعمرو على هذا الحدّ، اذا كنت تُخبرُ بأشياء أو توصي، ثم تقول: زيدٌ، أي زيدٌ فيمن أوصي به فأحسن اليه وأكرمه"[١١٧].

وقد مرّ بنا في الحديث على اضمار المبتدأ تخريج سيبويه لقول الله تعالى "طاعةٌ وقولٌ معروف"، فانما هو إمّا على اضمار مبتدأ كأنه قال: امري طاعةٌ... او على اضمار الخبر كأنه قال: طاعةٌ وقولٌ معروفٌ امثلُ.

ب- بعد لولا

ويحذف الخبر (وجوباً) بعد لولا، يقول سيبويه: "هذا باب من الابتداء يضمر فيه ما يبنى على الابتداء" ويمثل له :" وذلك قولك: لولا عبد الله لكان كذا وكذا". ويشرح الصيغة بقوله: "أمّا لكان كذا وكذا فحديثٌ معلّق بحديث لولا. واما عبد الله فانه من حديث لولا، وارتفع بالابتداء كما يرتفع بالابتداء بعد حرف الاستفهام، كقولك: أزيدٌ أخوك، إنما رفعته على ما رفعتَ عليه زيدٌ أخوك. غير ان ذلك استخبارٌ وهذا خبرٌ، وكأن المبنيَّ عليه الذي في الاضمار كان في مكان كذا وكذا، فكأنه قال: لولا عبد الله كان بذلك المكان، ولولا القتال كان في زمان كذا وكذا، ولكن هذا حذف حين كثر استعمالهم اياه في الكلام"[١١٨]. فالخبر المحذوف "كان" وهو يدل على وجود وحدوث لتتم الجملة من مسند ومسند اليه.

---

[١١٦] الكتاب، ج ١، ص ١٤٢ - ١٤٣.

[١١٧] الكتاب، ج ١، ص ١٤٤.

[١١٨] الكتاب، ج ٢، ص ١٢٩.

ج- اذا كان المبتدأ مصدراً او افعل تفضيل

ويضمر الخبر اذا كان المبتـدأ مصـدراً او افعل تفضيـل مضافـاً الـى مصـدر وبعـده حـال لا تصلح ان تكون خبراً، ويوضح سيبويه هذا: "وتقول: عهدي به قريباً وحديثاً، اذا لم تجعـل الآخِـر هـو الأول. فان جعلت الآخِر هو الأول رفعت. واذا نصبت جعلت الحديث والقريـب مـن الدهـر. وتقـول: عهدي به قائماً وعلمي به ذا مالٍ، فتنصب على انه حال وليس بـالعهد ولا العلـم، وليسـا هنـا ظرفيـن. وتقول: ضربي عبد الله قائماً، على هذا الذي ذكرت لك"[١١٩]. أما افعل التفضيل المضـاف الـى مصـدر وبعده حال لا تصلح ان تكون خبراً فهو على قول سيبويه: "واما عبد اللـه احسـن مـا يكـون قائمـاً فـلا يكون فيه الا النصب، لأنه لا يجوز لك ان تجعـل احسـن احوالـه قائمـاً علـى وجـه مـن الوجـوه"[١٢٠].

ويوضح السيرافي المسألة في الهامش فيقول: "وعلى مذهب سيبويه اذا قلت احسن مـا يكـون فمعناه احسن احواله، واحواله ليست اياه وقائم هو عبد الله ولا يجـوز ان يكـون خـبراً لأحسـن. وهـذا اختيار الزجاج، وهو الصحيح، لأنه لو قلنا: زيد أحسن احواله قائم لم يُجزْ، لأن قائماً ليس من افعاله".

د- بعد "واو" المعية

ويضمر الخبر اذا عُطف اسمٌ على المبتدأ بواو المعية، "وذلك قولك: انت وشأنك، وكل رجـلٍ وضيعتُه..."[١٢١].... "ولو قلتَ: أنت وشأنك كنـت كـأنك قلـت: أنـت وشـأنك مقرونـان، وكـل امـرىءٍ وضيعته مقرونان، لأن الواو في معنى مع هنـا، يعمـل فيمـا بعدهـا مـا عمـل فيمـا قبلهـا مـن الابتـداء والمبتدأ "[١٢٢]. ويتابع موضحاً في نفس المكان: "ومثله: أنتَ اعلمُ ومالُك، فانمـا اردتَ أنـت أعلـم مـع مالِك. وأنت أعلمُ وعبدُ الله، أي انتَ اعلم مع عبد الله. وان شئت كان على الوجه الآخر، كأنك قلـت:

---

[١١٩] الكتاب، ج ١، ص ٤١٩.

[١٢٠] نفسه، ص ٤٠٢.

[١٢١] نفسه، ص ٢٩٩.

[١٢٢] نفسه، ص ٣٠٠.

أنت وعبدُ الله اعلمُ من غيرِكُما. فان قلت: أنت أعلمُ وعبدُ الله في الوجه الآخر فانها ايضاً تُعمِل فيما بعدها الابتداء، كما أعملت في ما صنعتَ واخـاك، "صنعتَ"، فعلى أيِّ الوجهين وجّهته صار على المبتدأ لأن الواو في المعنيين جميعاً يَعمل فيما بعدها ما عمل في الاسم الذي تعطفه عليه".

هـ- اذا تعلّق بالخبر ظرف أو جار ومجرور

ويحذف الخبر عند سيبويه اذا تعلق به جار ومجرور او ظرف او اسم استفهام مما يدل على مكان او مستقر او حالة، ويوضح هذا قوله: "هذا باب ما يقـع موقـع الاسم المبتدأ ويسد مسدّه، لأنه مُستَقَرٌ لما بعده وموضع، والذي عمِل فيما بعده حتى رفعه هو الذي عمل فيه حين كان قبله؛ ولكن كل واحد منهما لا يُستغنى به عن صاحبه، فلما جُمعا استغنى عليهما السكوتُ، حتى صارا فـي الاستغناء كقولك: هذا عبدُ الله. وذلك قولك: فيها عبدُ الله. ومثله: ثَمَّ زيدٌ، وههنا عمروٌ، وأين زيدٌ، وكيـف عبدُ الله، وما اشبه ذلك. فمعنى أين: في أيِّ مكانٍ، وكيف: على اية حالةٍ. وهذا لا يكون الا مبدوءاً به قبل الاسم لأنها من حروف الاستفهام، فشُبِّهت بهل وألف الاستفهام لأنهـن يستغنين عن الألف، ولا يكن كذلك الا استفهاماً"[١٢٣].

---

[١٢٣] الكتاب، ج ٢، ص ١٢٨.

في الاضمار بعد بعض النواسخ

١ – في "إنّ" واخواتها

يضمر خبر "إنّ" واخواتها حيث يدلّ المضمر على وجود أو مستقر وموضع فيما لو أظهر، يقول سيبويه: "هذا باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة لاضمارك ما يكون مستقراً لها وموضعاً لو اظهرته، وليس هذا المضمر بنفس المُظهر. وذلك: إنّ مالاً وإنّ ولداً وإنّ عدداً، أي إنّ لهم مالاً. فالذي اضمرت "لهم". ويقول الرجل للرجل: هل لكم احدّ إنّ الناس البّ عليكم فيقول: إنّ زيداً، وإنّ عمراً، أي إنّ لنا. وقال الأعشى:

إنّ مَحَلاً وإنّ مُرتَحلا   وإنّ في السّفر ما مَضَى مَهَلا

وتقول: إنّ غيرها إيلاً وشاءً كأنه قال: إنّ لنا غيرها ابلاً وشاءً، او عندنا غيرها ابلاً وشاءً. فالذي تضمر هذا النحو وما أشبهه. وانتصب الابل والشاء كانتصاب فارس اذا قلت: ما في الناس مثله فارساً (أي على التمييز). ومثل ذلك قول الشاعر:

يا ليت أيّامَ الصِّبا رواجعا

فهذا كقوله: الا ماءَ بارداً، كأنه قال: ألا ماء لنا بارداً، وكأنه قال: يا ليت لنا أيام الصِّبا، وكأنه قال: يا ليت ايام الصبا أقبلت رواجِعَ"[١٢٤].

٢ – حذف اسم لا النافية للجنس

يقول سيبويه في حذف اسم لا النافية للجنس: "وتقول: لا كالعشية عشيةٌ، ولا كزيدٍ رَجُلٌ، لأنّ الآخِرَ هو الأول، ولأن زيداً رجلٌ، وصار لا كزيد كأنك قلت: لا احد كزيد، ثم قلت رجلٌ كما تقول:

---

[١٢٤] نفسه، ص ١٤١ – ١٤٢.

لا مالَ له قليلٌ ولا كثيرٌ، على الموضع (أي على موضع لا مال له – كقطعة من الكلام واحدة تعتبر مبتدأ). قال الشاعر امروء القيس:

ويلمّها في هواء الجوّ طالبةً ولا كهذا الذي في الأرض مطلوبُ

كأنه قال: ولا شيء كهذا، ورفع على ما ذكرت لك[١٢٥]. وان شئت نصبته على نصبه:

فهل في مَعَدٍّ فوقَ ذلك مِرْفَدا[١٢٦]

كأنه قال: لا أحدَ كزيدٍ رجلاً، وحمل الرجل على زيد، كما حمل المرفد على ذلك. وان شئت نصبته على ما نصبتَ عليه لا مال له قليلاً ولا كثيراً (أي على النعت).

ونظير لا كزيدٍ في حذفهم الاسم قولهم: لا عليك، وانما يريد: لا باس عليك، ولا شيء عليك، ولكنه حذف لكثرة استعمالهم اياه"[١٢٧].

ويجوز اضمار خبر "لا" اذا قدر بزمان او مكان، ويوضح سيبويه قصده بقوله: واعلم ان لا وما عملت فيه في موضع ابتداء، كما انك اذا قلت: هل من رجلٍ فالكلام بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ. وكذلك: ما من رجلٍ، وما من شيء، والذي يبنى عليه في زمان او في مكان، ولكنك تضمره، وان شئت اظهرته. وكذلك لا رجلَ ولا شيءَ، انما تريد لا رجل في مكان، لا شيء في زمان"[١٢٨]. وكذلك تضمر "عليك" في قولهم: لا بأس "وان اظهرت فحسن"[١٢٩].

---

[١٢٥] بكلام السيرافي: يعني رفع على موضع لا وما عملت فيه.

[١٢٦] أي على التمييز.

[١٢٧] الكتاب، ج ٢، ص ٢٩٤ – ٢٩٥.

[١٢٨] نفسه، ص ٢٧٥.

[١٢٩] نفسه، ص ٢٧٩.

٣- حذف اسم لات أو خبرها

يقول سيبويه في كلامه على "ما" التميمية والحجازية: "واما اهل الحجاز فيشبهونها بليس اذ كان معناها كمعناها، كما شبهوا بها لات في بعض المواضع، وذلك مع الحين خاصةً، لا تكون لات الا مع الحين، تضمر فيها مرفوعاً وتنصب الحين لأنه مفعول به[١٣٠]. ولم تَمكّنْ تمكّنها ولم تستعمل الا مضمراً فيها، لأنها ليست كليس في المخاطبة والاخبار عن غائب، تقول: لستَ ولستِ وليسوا، وعبد الله ليس ذاهباً، فتبني على المبتدأ وتضمر فيه، ولا يكون هذا في لات، لا تقول: عبد الله لات منطلقاً ولا قومك لاتوا منطلقين"[١٣١]. ونستنتج امكان حذف خبرها من قول سيبويه: " وزعموا انّ بعضهم قرأ: "ولاتَ حينُ مناص" وهي قليلة، كما قال بعضهم في قول سعد بن مالك القيسي:

مَنْ فَرَّ عن نيرانها ... فأنا ابنُ قَيسٍ لابراحُ

جعلها بمنزلة ليس، فهي بمنزلة لات في هذا الموضع في الرفع"[١٣٢]. فجعلُه "لا" بمنزلة "ليس" وربطها بـ"لات" يدل على ان "حين" بمنزلة اسم "لات" والخبر محذوف.

٤- الاستغناء بخبر "إنّ" عن مفعولي ظنّ

يفهم من كلام سيبويه ان المصدر المؤول من ان ومعموليْها يسد مسد مفعوليها، إذ يقول: "فأما ظننتُ انه منطلقٌ فاستغني بخبر "أنّ"، تقولُ: أظنُّ انه فاعلٌ كذا وكذا، فتستغني. وانما يُقتصر على هذا اذا عُلم انه مستغنٍ بخبر أنّ"[١٣٣].

[١٣٠] عن السيرافي: "أي لأنه شبيه بالمفعول به، اذ كان خبر ليس انما ينصب تشبيهاً بالمفعول به".

[١٣١] الكتاب، ج ١، ص ٧٥.

[١٣٢] نفسه، ص ٥٨.

[١٣٣] نفسه، ص ١٢٥ - ١٢٦.

٥- الاضمار في بعض ادوات الاستثناء

وهي "لا يكون" و"ليس" و"عدا" و"وخلا"، يقول سيبويه في "لا يكون" و"ليس": "فاذا جاءتا وفيهما معنى الاستثناء فان فيهما اضماراً، على هذا وقع فيهما معنى الاستثناء، كما انه لا يقع معنى النهي في حسبك الا ان يكون مبتدأ. وذلك قولك: ما اتاني القومُ ليس زيداً، واتوني لا يكون زيداً، وما اتاني احدٌ لا يكون زيداً، كأنه حين قال: اتوني، صار المخاطَبُ عنده قد وقع في خلدِه ان بعض الآتين زيدٌ، حتى كأنه قال: بعضهم زيدٌ، فكأنه قال: ليس بعضُهم زيداً. وترك اظهار بعض استغناءً، كما ترك الاظهار في لات حين"[١٣٤]. وفي "عدا" و"خلا" اضمارٌ كما كان في "ليس" و"لا يكون"، و"ذلك قولك: ما اتاني احدٌ خلا زيداً، واتاني القوم عدا عمراً، كأنك قلت: جاوزَ بعضهم زيداً، الا ان خلا وعدا فيهما معنى الاستثناء، ولكني ذكرتُ جاوز لأمثّل به، وان كان لا يستعمل في هذا الموضع"[١٣٥].

٦- حذف المستثنى استخفافاً

يقول سيبويه: "وذلك قولك: ليس غيرُ، وليس الا، كأنه قال: ليس الا ذاك وليس غيرُ ذاك، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطب ما يعني"[١٣٦].

٧- في الفاعل والمفعول به

أ- الفعل المبني للمجهول

يقوم المفعول به مقام الفاعل في الفعل المبني للمجهول، يقول سيبويه: "هذا باب الفاعل الذي لم يتعدّه فعله الى مفعول والمفعول الذي لم يتعدَّ اليه فعل فاعل ولم يتعده فعله الى مفعول آخر، والفاعل والمفعول في هذا سواء، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل، لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرغته

---

[١٣٤] الكتاب، ج ٢، ص ٣٤٧.

[١٣٥] نفسه، ص ٣٤٨.

[١٣٦] الكتاب، ج ٢، ص ٣٤٥.

له، كما فعلت ذلك بالفاعل. فأما الفاعل الذي لا يتعداه فعله فقولك: ذهبَ زيدٌ وجلسَ عمروٌ. والمفعول الذي لم يتعده فعله ولم يتعدَّ اليه فعل فاعلٍ فقولك: ضُربَ زيدٌ ويُضرب عمرو"[١٣٧]. ويضيف: "واعلم ان المفعول الذي لم يتعدّ اليه فعل فاعل[١٣٨] في التعدي والاقتصار بمنزلته اذا تعدى اليه فعل الفاعل، لأن معناه متعدياً اليه فعل الفاعل وغير متعدٍ اليه فعله سواء. الا ترى انك تقول ضربتُ زيداً، فلا تجاوزُ هذا المفعول، وتقول ضُرب زيدٌ فلا يتعداه فعله، لأن المعنى واحد"[١٣٩].

وفي اتساع الكلام يؤتى بنائب فاعل للفعل على اللفظ لا على المعنى، وذلك للايجاز والاختصار، يقول سيبويه "فمن ذلك ان تقول على قول السائل: كم صيدَ عليه؟ وكم غير ظرف لما ذكرت لك من الاتساع والايجاز، فتقول: صيدَ عليه يومانِ، وانما المعنى صيدَ عليه الوحشُ في يومين، ولكنه اتسع واختصر. ولذلك ايضاً وضع السائل كم غير ظرف. ومن ذلك ان تقول: كم وُلدَ له؟ فيقول: ستون عاماً. فالمعنى وُلدَ له الأولاد ووُلد له الولد ستين عاماً، ولكنه اتسع واوجز". ويوضح كون "كم" غير ظرف فيتابع: "ومن ذلك ان تقول: كم سير عليه، وكم غير ظرف، فيقول: يوم الجمعة، ويومان. فكم ها هنا بمنزلة قوله: ما صيد عليه، وما ولد له من الدهر والأيام؟ فليس كم ظرفاً كما ان "ما" ليس بظرف"[١٤٠].

ب- حذف الفاعل المضاف

ومن حذف الفاعل المضاف واحلال المضاف اليه محله ما جاء من كلامهم: "بنو فلانٍ يطؤهم الطريق، يريد : يطؤهم اهلُ الطريق". ومنه "اجتمع القيظ يريد: اجتمع الناس في القيظ"[١٤١].

---

[١٣٧] الكتاب، ج ١، ص ٣٣ – ٣٤.

[١٣٨] يعني الذي لم يسمَّ فاعله، وهو المعروف بنائب الفاعل (هامش الكتاب).

[١٣٩] الكتاب، ج ١، ص ٤٢.

[١٤٠] نفسه، ص ٢١١.

[١٤١] نفسه، ٢١٣ – ٢١٥.

ويحذف المفعول به المضاف ويحل المضاف اليه محله، يقول سيبويه: "ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جَدُّه: "واسألْ القريةَ التي كُنا فيها والعَيْرَ التي اقبلنا عليها" انما يريد: اهل القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا"[١٤٢]. ومنه قولهم "صِدنا قَنَوين، وانما يريد صدنا بقنوين، أوصدنا وَحشَ قنوين، وانما قنوان اسمُ ارض"[١٤٣].

ويستدعي هذا ذكر مواضع اخرى يحذف فيها المضاف ليحل المضاف اليه محله، كأن يحل محل الخبر مثلاً، وفي هذا يقول سيبويه: "وتقول اذا نظرت في الكتاب: هذا عمروٌ، وانما المعنى هذا اسم عمرو وهذا ذكر عمرو، ونحو هذا، الا ان هذا يجوز على سعة الكلام كما تقول: جاءت القرية. وان شئت قلت: هذه عمروٌ، أي هذه الكلمة اسم عمرو"[١٤٤]. وفي موضع آخر يذكر قولهم: "هذه الظهر او العصر او المغرب"، انما يريد صلاة هذا الوقت. وقال الحُطيئة:

وشرُّ المنايا مَيِّتٌ بين اهله　　　كهُلْكِ الفتى قد اسلمَ الحيَّ حاضِرُه

يريد: منية ميت...". ويحذف المجرور المضاف ليقوم المضاف اليه مقامه، يقول: "وقال النابغة الجعديّ:

وكيف تُواصِلُ مَنْ أصبحَتْ　　　خِلالتُه كأبي مَرحَبِ

يريد كخلالة ابي مَرحَب"[١٤٥].

---

[١٤٢] نفسه، ص ٢١٢.

[١٤٣] نفسه، ص ٢١٣.

[١٤٤] الكتاب، ج ٣، ص ٢٦٩.

[١٤٥] الكتاب، ج ١، ص ٢١٥.

ج- في التنازع

يقول سيبويه في باب المسند والمسند اليه: "وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بداً. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله اخوك وهذا اخوك. ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء"[١٤٦].

فكما نرى لا بد للفعل من فاعل ليتم الكلام من مسند ومسند اليه، فكيف يبرر سيبويه تنازع فعلين على فاعل واحد، او كما يسمي هذا الباب "باب الفاعلَيْن والمفعولَيْن اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله الذي يفعل به وما كان نحو ذلك". "وهو قولك": يتابع سيبويه، "ضربتُ وضربني زيدٌ وضربني وضربتُ زيداً، تحمل الاسم على الفعل الذي يليه. فالعامل في اللفظ احد الفعلين واما في المعنى فقد يعلم ان الأول قد وقع الا انه لا يعمل في اسم واحدٍ نصبٌ ورفعٌ"[١٤٧].

وكذلك تقول ضربوني وضربت قومك، اذا اعملت الآخر فلا بد في الأول من ضمير الفاعل لئلا يخلو من فاعل. وانما قلت: ضربتُ وضربني قومك فلم تجعل في الأول الهاء والميم، لأن الفعل قد يكون بغير مفعول ولا يكون الفعل بغير فاعل"[١٤٨].

وينتج عن هذا اضمار المفعول به كما يقول الفرزدق:

ولكنّ نِصفاً لو سببتُ وسبَّني بنو عبد شمس من مُنافٍ وهاشمِ

وكما قال رجل باهلة:

ولقد أرى تغنى به سيفانةٌ تُصبي الحليمَ ومثلُها اصباهُ

ويعلق سيبويه قائلاً: "فالفعل الأول في كل هذا مُعمَل في المعنى وغير معمل في اللفظ، والآخِر معمل في اللفظ والمعنى"[١٤٩].

---

(١٤٦) نفسه، ص ٢١٥ - ٢١٦.

(١٤٧) نفسه، ص ٧٣ - ٧٤.

(١٤٨) نفسه، ص ٧٩.

(١٤٩) نفسه، ص ٧٧.

ولكن هذا لا ينفي امكانية اضمار الفاعل كما في الشاهد التالي لطفيل الغنوي:

وكُمتاً مُدَمّاةً كأن متونها جرى فوقها واستشعرت لونَ مُذْهبِ

والظاهر في هذا ان مبدأ سيبويه اعمال الفعل الثاني الأقرب الى المعمول. فيمكن على هذا الأساس ان نقول ان اضمار الفاعل او المفعول به ممكن في التنازع.

٨- حذف جواب الشرط

قد يحذف جواب الشرط اذا علم المخاطب غاية الشرط دون الحاجة الى النص على الجواب يقول سيبويه: "وسألت الخليل عن قوله جل ذكره: "حتى اذا جاءُوها وفُتِّحت ابوابُها" اين جوابها؟ وعن قوله جل وعلا: "ولو يرى الذين ظلموا اذ يَرَون العذاب"، "ولو ترى اذ وُقِفوا على النارِ" فقال: ان العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلم المخبَر لأي شيء وضع هذا الكلام"[١٥٠].

---

[١٥٠] الكتاب، ج ٣، ص ١٠٣.

اضـــمـــــار الحــــروف

١ - اضمار "ان" الناصبة

تنصب بعض الحروف الفعل المضارع باضمار "ان" ومنها "لام التعليل" و"حتى" لأنهما تعملان في الأسماء الجر، يقول سيبويه في باب الحروف التي تضمر فيها ان: "وذلك اللام التي في قولك جئتك لتفعلَ، وحتى، وذلك قولك: حتى تفعل ذلك، فانما انتصب هذا بأن، وان ههنا مضمرة، ولو لم تضمرها لكان الكلام محالاً، لأن اللام وحتى انما يعملان في الأسماء فيجران، وليستا من الحروف التي تضاف الى الأفعال. فاذا اضمرت "ان" حسن الكلام لأن ان وتفعل بمنزلة اسم واحد... واذا قلت: اخشى ان تفعل فكأنك قلت: اخشى فعلَك. افلا ترى أنَّ أنْ تفعل بمنزلة الفعل، فلما اضمرت أنْ كنت قد وضعت هذين الحرفين مواضعهما، لأنهما لا يعملان الا في الأسماء ولا يضافان الا اليها، وان وتفعل بمنزلة الفعل"[١٥١]. فاختصاص اللام وحتى بالأسماء يحتم نصب الفعل المضارع بعدهما بأن مضمرة لتأويل مصدر تعملان فيه.

واما بالنسبة لـ"كي" فيقول ان من العرب من يجعلها بمنزلة حتى "وذلك انهم يقولون: كيْمَه في الاستفهام، فيعملونها في الأسماء... فمن قال كَيْمهْ فانه يضمر ان بعدها، اما من ادخل عليها اللام ولم يكن من كلامه كيمه فانها عنده بمنزلة ان، وتدخل عليها اللام كما تدخل على ان. ومن قال كيمه جعلها بمنزلة اللام"[١٥٢]. و"ان" لا تظهر بعد حتى وكي لأن هذين الحرفين لا يضافان الى فعل ولأنهما ليس مما يعمل في الفعل "وان الفعل لا يحسن بعدهما الا ان يحمل على ان"[١٥٣]. اما لام التعليل فجائز اظهار "ان" بعدها او عدمه. واما لام الجحود فلا يجوز فيها اظهار ان. ويوضح سيبويه

---

[١٥١] نفسه، ص ٥ - ٦.

[١٥٢] نفسه، ص ٦. ويعلق السيرافي على قوله"ومن قال كيمه جعلها بمنزلة اللام"، بقوله: "يعني انها تكون جارة".

[١٥٣] نفسه، ص ٧.

هذا بقوله: "وذلك: ما كان ليفعلَ، فصارت ان هنا بمنزلة الفعل في قولك: اياك وزيداً، وكأنك اذا مثّلت قلت: ما كان زيدٌ لأن يفعل، أي ما كان زيدٌ لهذا الفعل، فهذا بمنزلته". أي ان "ان" مضمرة هنا كما اضمر الفعل في التحذير في مثل "اياك وزيداً" حيث صار التلفظ بـ "اياك" بدلاً من لفظ الفعل، فاللام "صارت بدلاً من اللفظ بأن"[١٥٤].

ويذكر سيبويه قول بعضهم من "ان الخليل قال: ان مضمرة بعد اذن". ويرد سيبويه هذا بقوله: "ولو كانت مما يضمر بعده ان فكانت بمنزلة اللام وحتى لأضمرتها اذا قلت عبد الله اذن يأتيك، فكان ينبغي ان تنصب اذن يأتيك لأن المعنى واحد، ولم يغير فيه المعنى الذي كان في قوله: اذن يأتيك عبد الله، كما يتغير المعنى في حتى في الرفع والنصب"[١٥٥]. لأن اذن تعمل عنده اذا تصدرت وكانت جواباً حيث يقول: "اعلم ان اذن اذا كانت جواباً وكانت مبتدأة عملت في الفعل عمل ارى في الاسم اذا كانت مبتدأة. وذلك قولك: اذن اجيئَك"[١٥٦].

وتضمر "ان" بعد الفاء وهي الفاء السببية، ويقول سيبويه: "اعلم ان ما انتصب في باب الفاء ينتصب على اضمار ان، وما لم ينتصب فانه يشرك الفعل الأول فيما دخل فيه، او يكون في موضع مبتدأ او مبني على مبتدأ او موضع اسم مما سوى ذلك"[١٥٧]. وهو يشرح ويعلل بقوله : "تقول لا تأتيني فتحدثني، لم ترد ان تدخل الآخر فيما دخل فيه الأول فتقول: لا تأتيني ولا تحدثني، ولكنك لما حولت المعنى عن ذلك تحول الى الاسم، كأنك قلت: ليس يكون منك اتيان فحديث، فلما اردت ذلك استحال ان تضم الفعل الى الاسم فاضمروا ان، لأن ان مع الفعل بمنزلة الاسم، فلما نَوَوا ان يكون

---

(١٥٤) نفسه.

(١٥٥) نفسه، ص ١٦.

(١٥٦) نفسه، ص ١٢.

(١٥٧) نفسه، ص ٢٨.

الأول بمنزلة قولهم: لم يكن اتيان استحالوا ان يضموا الفعل اليه، فلما اضمروا ان حسُن، لأنه مع الفعل بمنزلة الاسم"[١٥٨]" أي بتأول مصدر.

والنصب بعد فاء السببية يكون مع النفي كما في لا تأتيني فتحدثني، او مع الطلب مثل: ائتني فأحدثك ومنه العرض مثل: الا ماءَ فأشربَه، ومنه قول امية بن ابي الصلت:

الا رسولَ لنا منّا فيخبرَنا ما بُعْدُ غايتنا من رأس مُجرانا

ومنه التمني مثل: ليته عندنا فيحدثّنا[١٥٩] ومنه النهي: لا تدن منه فيأكلك[١٦٠].

ومما يضمر بعده "ان" الناصبة واو المعية، يقول سيبويه: "اعلم ان الواو ينتصب ما بعدها في غير الواجب من حيث انتصب ما بعد الفاء"[١٦١]. أي بشروط النصب بعد الفاء من النفي والطلب. ويتابع في نفس الموضع: "واعلم ان الواو وان جرت هذا المجرى فان معناها ومعنى الفاء مختلفان. الا ترى الأخطل قال:

لا تَنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَهُ عارٌ عليك اذا فعلتَ عظيمُ

فلو دخلت الفاء ها هنا لأفسدت المعنى، وانما اراد لا يجتمعنَّ النهي والاتيان، فصار تأتي على اضمار ان". ومن النصب على النفي يورد سيبويه قوله عز وجل : "ولمّا يعلمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ويعلمَ الصابرين"[١٦٢] . ولا يجوز عطف الفعل على الاسم لذلك نصب هذا البيت:

لَلُبس عباءةٍ وتقرَّ عيني أحبُّ اليّ من لُبسِ الشُفوفِ

ويخرجه قائلاً: "لما لم يستقم ان تحمل "وتقر" وهو فعل على لُبس وهو اسم، لما ضممته الى الاسم، وجعلت احب لهما ولم ترد قطعه، لم يكن بد من اضمار أن"[١٦٣].

---

(١٥٨) المصدر نفسه.

(١٥٩) الأمثلة في الصفحات: ٢٨ ، ٤١ ، ٣٣، من الجزء الثالث وعلى التوالي.

(١٦٠) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(١٦١) المصدر نفسه، ص ٤١.

(١٦٢) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(١٦٣) المصدر نفسه، ص ٤٦.

والأمر مع "أو" في اضمار "أن" بعدها كالأمر مع الفاء والواو والتعليل هو نفسه أي عطف اسم على اسم، يقول سيبويه: "اعلم ان ما انتصب بعد او فانه ينتصب على اضمار ان كما انتصب في الفاء والواو على اضمارها، ولا يستعمل اظهارها كما لم يستعمل في الفاء والواو، والتمثيل ها هنا مثله ثمّ. تقول اذا قال لألزمنّك او تعطيني، كأنه يقول: ليكوننّ اللزوم او ان تعطيني"[١٦٤].

ومعنى ما انتصب بعد " او" على " إلا ان". قال امرؤ القيس:

فقلت له لا تبكِ عينُك انما نحاولُ مُلكاً أو نموتَ فنعذرا

والقوافي منصوبة، فالتمثيل على ما ذكرت لك، والمعنى على إلاّ ان نموت فنعذرا"[١٦٥].

ويورد في مكانٍ آخر شاهداً آخر لزياد الأعجم:

وكنتُ اذا غمزتُ قَناةَ قومٍ كسَرت كُعوبَها أو تستقيما

ويقول: معناه إلاّ أن.

وقد يضمر الشاعر "أن" مضطراً، يقول سيبويه في بيت عامر بن جوين الطائي:

فلم ارَ مِثلها خُباسةَ واحدٍ ونهنَهتُ نفسي بعدما كِدتُ افعلَهْ

"فحملوه على ان، لأن الشعراء قد يستعملون ان ههنا مضطرين كثيراً"[١٦٦].

٢- اضمار لام الأمر

يقول سيبويه: "والجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء، فليس للاسم في الجزم نصيب، وليس للفعل في الجر نصيب، فمن ثَمَّ لم يضمروا الجازم كما لم يضمروا الجار"[١٦٧]. الا ان هذا قد

---

(١٦٤) المصدر نفسه، ص ٤٦.

(١٦٥) المصدر نفسه ص ٤٧.

(١٦٦) الكتاب، ج ١، ص ٣٠٧.

(١٦٧) الكتاب، ج ٣، ص ٩.

يجوز في الشعر مع لام الأمر ويبرر سيبويه هذا قائلاً: "واعلم ان هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر وتعمل مضمرة، كأنهم شبهوها بأن اذا اعملوها مضمرة. وقال الشاعر:

محمّدُ تَفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ   اذا ما خِفتَ من شيء تَبالا

وانما اراد: لتفدِ. وقال متمم بن نويرة:

على مِثْل اصحاب البعوضة فاخْمُشي   لكِ الويلُ حُرَّ الوجهِ أويَبكِ من بَكى

اراد: ليبكِ. وقال احيحة بن الجلاح:

فَمَنْ نالَ الغنى فليصطنِعه   صنيعتَه ويَجهَد كلَّ جهدِ"[١٦٨]

ولو ان البيت الأخير يمكن تخريجه على العطف على المجزوم الأول "فليصطنعه".

٣- اضمار إن في جواب الأمر

يعقد سيبويه باباً يَسِمُه بـ "هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل اذا كان جواباً لأمرٍ او نهي او استفهام او تمن او عرض"[١٦٩] ويمثل لما انجزم بالأمر بـ: ائتني آتِك. ولما انجزم بالنهي بـ: لا تفعل يكنْ خيراً لك. ولما انجزم في الاستفهام بـ: الا تأتيني احدثْك؟ واين تكون ازرْك؟ ولما انجزم في التمني بـ: الا ماء اشربْه، وليته عندنا يحدثْنا. ولما انجزم بالعرض بـ: الا تنزل تصبْ خيراً. ويقول: "وانما انجزم هذا الجواب كما انجزم جواب إن تأتِني، بإن تأتِني، لأنهم جعلوه معلقاً بالأول غير مستغنٍ عنه اذا ارادوا الجزاء، كما إن تأتِني غير مستغنية عن آتِك. وزعم الخليل: ان هذه الأوائل كلها فيها معنى إن، فلذلك انجزم الجواب، لأنه اذا قال ائتني آتِك فان معنى كلامه ان يكن منك اتيان آتك، واذا قال: اين بيتك ازرْك، فكأنه قال ان اعلم مكان بيتك ازُرْك..."[١٧٠]

---

[١٦٨] نفسه، ص ٨ – ٩.

[١٦٩] الكتاب، ج ٣، ص ٩٣.

[١٧٠] نفسه، ص ٩٣ – ٩٤.

ويورد في الموضع نفسه، ما جاء في القرآن من قوله عز وجل: " هَل أدُلّكم على تجارة تنجكم من عذابٍ اليم. تؤمنون باللهِ ورسولهِ وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذَلِكم خيرٌ لكم ان كنتم تعلمون" ويعلق قائلاً: "فلما انقضت الاية قال: "يغفرْ لكم" ومن شواهده قول الشاعر:

الا تنتهي عنّا ملوكٌ وتتقي   محارِمَنا لا يبؤ الدمُ بالدمِ

(جزم "يبؤ" على جواب ما تضمنه "الا تنتهي" من معنى الأمر، والتقدير: انتهوا عنا، أي ان انتهت عنا)[١٧١].

٤- اضمار حروف الجر

الأصل في حروف الجرّ ألاّ تُضمرَ لأنها مختصة بالأسماء فقد قال سيبويه :" والجزمُ في الأفعال نظير الجرّ في الأسماء، فليس للاسم من الجزم نصيب، وليس للفعل في الجرّ نصيب، فمن ثمَّ لم يُضمروا الجازم كما لم يضمروا الجار"[١٧٢] وفي حديثه عن الأفعال التي لا تصل إلا بحرف جر يقول: " ولا يجوز أن تضمر فعلاً لا يصل إلا بحرف جرّ، لأن حرف الجرّ لا يُضمَر"[١٧٣] . ولكنّه يذكر زعم يونس من أن من العرب من يقول: إن لا صالحٍ فطالحٍ، على: إن لا أكُن مررتُ بصالحٍ فطالحٍ، ويقول: "وهذا قبيح ضعيف، لأنك تضمر بعد إن لا فعلاً آخر فيه حذف غيرَ الذي تُضمر بعد إن لا في قولك: إن لا يكن صالحاً فطالحٌ. ولا يجوز أن يُضمَر الجارُّ، ولكنهم لما ذكروه في أول كلامهم شبهوه بغيره من الفعل..." ويتابع: " ومن ثَمَّ قال يونس: امرر على أيُّهم أفضلُ إن زيدٍ وإن عمروٍ. يعني إن مررت بزيدٍ أو مررت بعمروٍ"[١٧٤] . ومن هذا القبيل، أي حذف الجارّ مع بقاء

---

[١٧١] المصدر نفسه، ص ٩٥، تعليق عبد السلام هارون.

[١٧٢] نفسه، ج ٣، ص ٩.

[١٧٣] نفسه، ج ١، ص ٤٩.

[١٧٤] الكتاب، ج ١، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

عمله، يقول في مثل " و أْتِني بدابةٍ ولو حماراً" أنك "لو قلت: ولو حمارٍ، فجررت كان بمنزلته في إن. ومثله قول بعضهم إذا قلت : جئتك بدرهمٍ: فهلاّ دينارٍ"(١٧٥) .

وقدّر الخليل حذف مِن بعد كم الاستفهامية بعد أن سأله سيبويه عن قوله: على كَم جذعٍ بيتُك مبنيٌ؟ "فقال القياسُ النصبُ وهو قولُ عامّة الناس. فأما الذين جروا فإنهم أرادوا معنى مِن، ولكنهم حذفوها ههنا تخفيفاً على اللسان، وصارت على عوضاً منها"(١٧٦) . وقد ورد زعمُ يونس أنه سمع الفرزدق ينشد(١٧٧) :

كم عمةٍ لك يا جرير وخالةٍ فدعاءَ قد حلبت عليّ عِشاري

وعلّق سيبويه بأن بعضهم قد قال "إن كم على كل حال منّونة، ولكنّ الذين جرّوا في الخبر أضمروا مِن كما جاز لهم أن يضمروا رُبّ"(١٧٨) . وذلك تعليقاً على إعمال ناس من العرب "كم" في ما بعدها من الخبر كما يعملونها في الاستفهام (أي على نصب تمييز).

وقد تحذف اللام والباء ويبقى عملهما، فقد زعم الخليل أن قولهم: لاهِ أبوك ولقيته أمسِ، إنما هو على: لله أبوك، ولقيته بالأمسِ، "ولكنهم حذفوا الجارّ والألف واللام تخفيفاً على اللسان"(١٧٩) . وقد تحذف الباء الزائدة في خبر ليس ويبقى عملها، وشاهد ذلك قول الفرزدق:(١٨٠)

مشائيمُ ليسوا مصلحين عشيرةً ولا ناعبٍ إلا ببينٍ غرابُها

حيث جرّ "ناعب" على معنى تقدير الباء الزائدة في "مصلحين" في النية. ومثله قول زهير:

---

(١٧٥) نفسه، ج١، ص ٢٦٩.

(١٧٦) نفسه، ج ٢،، ص ١٦٠.

(١٧٧) نفسه، ص ٧٢.

(١٧٨) نفسه، ص ١٦٢.

(١٧٩) نفسه، ص ١٦٢ – ١٦٣. أما سيبويه فيقول: "ولا يقوى قول الخليل في أمسِ، لأنك تقول ذهب أمسِ بما فيه". ص ١٦٤.

(١٨٠) الكتاب، ج ٣، ص ٢٩.

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابقٍ شيئا إذا كان جائيا

ويعلق سيبويه: لما كان الاول تستعمل فيه الباءُ ولا تغير المعنى، وكانت مما يلزم الاول نووها في الحرف الآخر، حتى كأنهم قد تكلموا بها في الاول"[١٨١] .

ويفسر سيبويه قوله سبحانه وتعالى " فدعا ربه أني مغلوب فانتصر" وكذلك قوله " ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه أني لكم نذيرٌ مبين" على انه إنما أراد بأني مغلوبٌ، وبأني لكم نذيرٌ مبين، ولكنه حذف الباء[١٨٢] .

وتحذف لام التعليل قبل أن المصدرية الناصبة، ومنه قول الفرزدق:

وما زرت سلمى أن تكون حبيبةً إليّ ولا دينٍ بها أنا طالبُهْ

يقول سيبويه: " جره لانه صار كأنه قال: لأن"[١٨٣] . ومثل هذا قوله عزّ وجلّ " أن تضلّ إحداهما"[١٨٤] .

وتحذف اللام كذلك قبل "أنّ، يقول سيبويه: "سألت الخليل عن قوله جلّ ذكره " وأنّ هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربُكم فاتقونِ"، فقال إنما هو على حذف اللام كأنه قال: ولأن هذه أمتكم..."[١٨٥]

ويوضح أن بيت الفرزدق التالي ينشد على وجهين على إرادة اللام، وعلى الابتداء، وهو:

منعت تميماً منك أني أنا ابنُها وشاعرُها المعروفُ عند المواسمِ

ويقول: " وسمعنا من العرب من يقول: إني أنا ابنها"[١٨٦] .

وتحذف اللام من المصدر، وعلى هذا قول الشاعر:

وأغفر عوراء الكريم ادخارَه وأُعرِضُ عن ذنب اللئيم تكرّما

---

[١٨١] نفسه، ص ٢٩.

[١٨٢] نفسه، ص ١٢٧.

[١٨٣] نفسه، ص ٢٩.

[١٨٤] نفسه، ص ١٥٤.

[١٨٥] نفسه، ص ١٢٧.

[١٨٦] نفسه، ص ١٢٨.

أي : لادّخاره[١٨٧] .

وقد تحذف واو القسم، ويقول سيبويه:" واعلم أنك اذا حذفت من المحلوف به حرف الجرّ نصبته ... وذلك قولك: اللهَ لأفعلنّ"[١٨٨] ولكنه يضيف: " ومن العرب من يقول: اللهِ لأفعلنّ، وذلك أنه أراد حرف الجرّ، وإياه نوى، فجاز حيث كثر في كلامهم، وحذفوه تخفيفاً وهم ينوونه"[١٨٩] . ويقول: " وإذا قلت لا هالله لا أفعل لم يكن إلا الجر، وذلك أنه يريد لا والله، ولكنه صار "ها" عوضاً من اللفظ بالحرف الذي يجرُ وعاقبه. ومثل ذلك: آللهِ لتفعلنّ؟ إذا استفهمت، أضمروا الحرف الذي يجر وحذفوا تخفيفاً على اللسان، وصارت ألف الاستفهام بدلاً منه في اللفظ معاقباً"[١٩٠] . وتحذف واو القسم وتصير ألف اللام عوضاً عنها، يقول سيبويه: " وقد تعاقب ألف اللام حرف القسم كما عاقبته ألف الاستفهام وها، فتظهر في ذلك الموضع[١٩١] الذي يسقط في جميع ما هو مثله للمعاقبة، وذلك قولك أفألله لتفعلنّ. ألا ترى أنك إن قلت: أفوالله، لم تثبت"[١٩٢] .

وتحذف واو القسم بعد نعم وإي، يقول سيبويه: " وتقول نعمِ اللهِ لأفعلنّ، وإيَ اللهِ لأفعلنّ؛ لأنهما ليسا ببدل، ألا ترى أنك تقول: إي واللهِ ونعم واللهِ"[١٩٣] . أي أن نعم وإي ليستا معاقبتين للواو ولا بدلاً منها مثل ألف اللام لذلك فالهمزة همزة وصل ولذلك يتحرك آخر نعم وإي منعاً لالتقاء الساكنين.

وتحذف رُبَّ بعد الواو وأمثلتها عند سيبويه كثيرة، وهي أقوى في الاضمار لكثرتها في كلام العرب، ومن ذلك قولهم:

---

(١٨٧) نفسه، ص ١٢٦.

(١٨٨) نفسه، ص ٤٩٧.

(١٨٩) نفسه، ص ٤٩٨.

(١٩٠) الكتاب، ج ٢، ص ١٦٠ – ١٦١.

(١٩١) أي تصير همزة قطع.

(١٩٢) الكتاب، ج ٣، ص ٥٠٠.

(١٩٣) نفسه، ص ٥٠٠ – ٥٠١.

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ[١٩٤]

ومثله قول الشاعر العنبريّ:

وجدّاءَ ما يرجى بها ذو قرابةٍ لعطفٍ وما يخشى السُّماةَ ربيبُها

وقال امروء القيس:

ومثلكِ بكراً قد طرقتُ وثيّباً فألهيتها عن ذي تمائمَ مُغْيَلِ

وقال سيبويه: " أي رُبَّ مثلِك"[١٩٥] . وقد ورد هذا البيت في ديوان الشاعر، وهو من معلقته المشهورة، وكذلك في جمهرة أشعار العرب وفي مغني اللبيب بالفاء : "فمثلِك" واستدل به في المغني على إضمار ربَّ بعدها.

٥- حذف حرف النداء

يذكر سيبويه الحروف التي ينبه بها المدعو، وهي: يا وأيا وهيا وأي والألف، ويمثل فيقول: "نحو قولك: أحارِ بن عمرو"[١٩٦] . ثم يقول: "وإن شئت حذفتهن كلهن استغناءً كقولك: حارِ بنَ كعبٍ، وذلك أنه جعلهم بمنزلة من هو مقبل عليه بحضرته يخاطبه" ، ويتابع: " وقد يجوز حذف يا من النكرة في الشعر، وقال العجاج:

جاريَ لا تستنكري عذيري

يريد: يا جاريةُ. وقال في مثل: افتدِ مخنوقُ، وأصبح ليلُ، وأطرقْ كرا. وليس هذا بكثير ولا قويّ"[١٩٧] . يقصد حذف "يا" قبل المنادى الذي كان اصله نكرة لا حذف حرف النداء قبل المعرفة.

(١٩٤) الكتاب، ج ١، ص ٢٦٣.

(١٩٥) الكتاب، ج ٢، ص ١٦٣ – ١٦٤.

(١٩٦) الكتاب، ج ٣، ص ٢٢٩.

(١٩٧) نفسه، ص ٢٣٠ – ٢٣١.

الفصل الثاني

الأسس النظرية لفكرة التقدير

لا بدَّ لنا قبل الدخول في منهج سيبويه في قضية التقدير من ان نمهِّد لذلك بتحديد بعض الأمور التي تتعلق بدراسة النحو، ومن ذلك المنهج الوصفي والمنهج المعياري، ثم نعرِّج على بعض اسهامات تشومسكي ونظريته في النحو التحويلي، وبعد ذلك نختم تمهيدنا هذا بالنظر الى قضية العامل في النحو كما رآها سيبويه. وهذا التمهيد ضروري لأن ايضاحنا لمنهج سيبويه في التقدير يعتمد، في كثير من جوانبه، على وضوح رؤيتنا لهذه القضايا. ونمرّ مروراً سريعاً على قضية اسمية الجملة وفعليتها. وكل هذا يتعلق تعلقا مباشراً بمنهج سيبويه في قضية التقدير، وفي اسلوب استخدامه له كما سيتبين معنا بعد ذلك خلال درسنا لفهمه للتقدير وشروطه من خلال امثلة ونماذج نقدمها.

المنهج الوصفي

لنبدأ بالكلام على المنهج الوصفي منطلقين من التعريف الموجود في "معجم المصطلحات اللغوية". يقول تحت مادة "وصفية" descriptivism : منهج في الدراسة اللغوية والنحوية قِوامُه الأساسي الوصف". ثم يحيل على مادة "نحو وصفي " descriptive grammar فيعرّفه كالتالي: "نحو يُعنى بوصف الاستعمال اللغوي للغة ما او لهجة ما في زمن معيَّن - حاضر أو ماضٍ - معتمداً على الملاحظة والموضوعية ومجانباً للمقارنة والتقنين."[1] "ونلاحظ هنا ان الوصف للغة او اللهجة يركّز عليها في "زمن معين" أي في فترة محددة، بينما كان "النحويون الشباب Junggrammatiker [2] "قد قرروا ان الطريقة الوحيدة لدراسة اللغة هي دراستها تاريخياًdiachronically [3]. وقد عارض دوسوسير de Saussure هذا الاتجاه وقرر ان اللغة ينبغي ان تُدرس في مرحلة خاصة او في "حالة للغة "état de langue اي تُدرس حالة استقرارها في بيئة مكانية وزمانية محددة، واتخذ لذلك مصطلح Synchronic للدلالة على هذا المنهج، وهو الذي ساد علم اللغة منذ ذلك الحين. ان دراسة اللغة في حال استقرارها هي ما يُعرف الآن بالمنهج "الوصفي" [4] وقد فرّق دوسوسير بين ثلاثة مصطلحات هي la paroie :وهو يمثل كلام الفرد، ولذلك ليس "واقعة اجتماعية"، والمصطلح الثاني هو la langage :وهو اللغة بمعناها العام، انها مجموع الكلام الفردي la paroie والقواعد العامة للغة الانسانية وهي (اللغة) ايضاً ليست واقعة اجتماعية لأنها تتضمن العوامل الفردية المنسوبة الى المتكلمين الأفراد. اما المصطلح الثالث فقد ورد معنا وهو la langue وهو ما يراه دو سوسير صالحاً للدراسة العلمية، وقد حدده في هذه الصيغة[5] :

---

[1] رمزي بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، ص ١٤٤.

[2] هو اسم اطلق عليهم سخرية منهم من قبل زملائهم الأكبر سناً، المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

[3] عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص ٢٩.

[4] المصدر نفسه.

[5] Francis Dinneen, Introduction to General Linguistics, Holt, Rinehart & Winston, ١٩٦٧, p. ١٩٧

La Langue = le langage minus la parole

فالكلام الفردي la parole يقوم على عنصر الاختيار وهو ما لا يمكن التنبؤ به لذلك لا يمكن دراسته دراسة "علمية". والمصطلح الثاني le langage لا يمثل كذلك واقعة اجتماعية "نقية" لأنه يضم الى الجوانب الاجتماعية جوانب فردية. اذن فان la langue هي وحدها "الواقعة الاجتماعية" لأنها عامة داخل المجتمع وهي تمارس "فرضاً" على المتكلمين الأفراد. وهي لا توجد كاملة عند كل فرد، فهي عنده "نظام من القيم النقية". [٦] ويعلّق د. عبده الراجحي قائلاً: "والحق ان هذا التفسير يؤدي ان تكون" la langue تجريداً"، ولكن دو سوسير كان يدرك ذلك، بل كان يرى هذا التجريد اصلح شيء للدراسة العلمية". [٧] ومن اسس دراسة اللغة عند دو سوسير ما يسميه "العلامة اللغوية Linguistinc sign"وهي عنده تتشكل من "المفهوم" او "التصور Concept-signifié "مع "الصورة السمعية" . Sound- image - signifiant "فالتصور Signifié "هو شكل الشجرة مثلاً و"الصورة السمعية signifiant "هو الكلمة، ولكن "العلامة اللغوية Sign "هي مجموعهما، أي ان كلمة "شجرة" تُفهم من نُطقها والصورة السمعية معاً. وهذه "العلامة اللغوية" عُرفية arbitrary[٨] .

ومن رواد المنهج الوصفي ادوارد سابير الذي قرر اولاً ان "الأشكال" اللغوية ينبغي ان تُدرس في ذاتها، أي باعتبارها اشكالاً، وليس على اساس المعاني التي نتصورها ابتداءً. وقد اكّد على ان المنهج العلمي يرفض دراسة اللغة في ضوء تصورات سابقة، او على ضوء "انماط" من لغات اخرى. فالدراسة ينبغي ان تكون من واقع اللغة نفسها، ومن ثم رفض التقسيم التقليدي "لأقسام الكلام" ورفض اعتبارها "عالميات لغوية"، ورآها تصنيفات غير صحيحة وليست وحدات "وظيفية طبيعية وعلى الباحث ان يدرك

---

(٦) Ibid. p. ١٩٨

(٧) عبده الراجحي، المرجع المذكور، ص ٢٨.

(٨) Ferdinand de Saussure, Course in General Linguistics, tr. by Wade Baskin, ١٩٦٦, p. ٦٦-٧٠

ان لكل لغة اقسامها الخاصة ولها تراكيبها المتميزة ".[٩] ورغم انه لم يغفل المعنى الا ان تركيزه كان على الشكل. يقول "سابير" في كتابه "اللغة" (ص ٣٤) في معرض حديثه عن احساس المتكلم والسامع بالكلمة: "ان الكلمة هي واحدة من اصغر "القطع bits "التي تعبر عن المعنى المعزول التي تتحلل الجملة اليه" والجملة عنده (ص ٣٥) هي : " التعبير اللغوي عن القضية" it is the linguistic expression of a proposition.

ومن الوصفيين ليونارد بلومفيلد الذي حدّد دراسة اللغة فقرر ان الدراسات القديمة قبل المدرسة الفيلولوجية التاريخية – دراسات غير علمية لأنها "استدلالية" و "معيارية". واكّد ان الدرس الوحيد للغة ينبغي ان يكون وصفياً "استقرائياً"[١٠] وهو، ايضاً، يرى ان ما نظنه "عالميات لغوية" مثل اقسام الكلام parts of speechكالفعل والاسم قد تكون في لغات لكنها مُفتقدة في لغات اخرى[١١] وقد تأثر بلومفيلد بالمنهج السلوكي في علم النفس وطبقه على اللغة رافضاً طريقة التناول العقلية mentalistic القديمة[١٢]، اذ يرى انها تُرجع السلوك الانساني الى تدخُّل عنصر غير فيزيقي non-physical (الروح او الارادة او العقل)، وهي تختلف تماماً عن الأشياء المادية، لذلك فهي لا تتبع "انماط الاطراد" patterns of succession (العلة والمعلول Cause and effect) في العالم المادي، لذلك لا نستطيع ان نتنبأ بسلوكها[١٣] أي انها، كما يعبر د. الراجحي "لا تخضع للوصف العلمي"[١٤] . لذلك يأخذ "بلوفيلد بنظرية يسميها النظرية المادية materialisticأو الآلية mechanistic وهي التي يراها صالحة لدراسة السلوك الانساني، لأن التصرفات

---

[٩] Edward Sapir, Language, Harcourt, Brace & World, ١٩٤٩, p. ١١٩

[١٠] Leonard Bloomfield, Language, Holts Rinechart & Winston, ١٩٦٥, p ٢٠

[١١] Ibid, p. ٢٠

[١٢] Ibid. p ٣٢

[١٣] Ibid. p ٣٣

[١٤] عبده الراجحي، المرجع المذكور، ص ٤٠.

الانسانية جزء من "اطراد العلة والمعلول". وكان قد مهّد له بالمثل عن رغبة "جيل" Jill في اكل التفاحة بعد ان رأتها وطلبت الى "جاك" Jack ان يأتيها بها، ليعبر عن الاتجاه السلوكي "بالمنبّه"Stimulus والاستجابة البديلة substitute response عند "جيل" واستجابة "جاك" بعد تلقّي الرغبة من "جيل" وهو ما يعتبر استجابة بديلة substitute response ويستجيب "جاك" لرغبة "جيل" في الاتيان بالتفاحة؛ وهو يعبِّر عن الحدث رمزاً كالتالي:

$$S \rightarrow r....s \rightarrow R$$

والنقاط بين (r.........s) هي الكلام او الحدث الكلامي. فحرف (S) الكبير يرمز الى المنبه الأول أي رؤية جيل للتفاحة و (r) رغبتها فيها والخط المتقطع تعبيرها بالكلام عن هذه الرغبة ثم (s) الصغيرة المنبه "لجاك" متلقي الكلام و (R) استجابته له[١٥]. وهذه الطريقة في دراسة الكلام تؤدي الى نتيجة هامة عند بلومفيلد وهي ان الحدث الكلامي له معنى[١٦]. ولكنه يقرر فيما بعد في الفصل الذي كتبه عن المعنى Meaning "ان تقرير المعاني هو اضعف نقطة في دراسة اللغة، وسوف تبقى هكذا حتى تتقدم المعرفة الانسانية الى ابعد من حالتها الراهنة"[١٧].

وهناك آخرون من الوصفيين منهم يسبرسن Otto Jespersen وعلماء مدرسة لندن تحت قيادة فيرث J.R. Firth صاحب نظرية سياق الحال context of situation وغيرهم[١٨].

ويشير الدكتور الراجحي الى بعض النقاط منها:

١- ان هؤلاء العلماء قد وجهوا اهتمامهم الى جعل درس اللغة "علماً مستقلاً"، بحيث تدرس اللغة في

(١٥) Bloomfield, op. cit., p. ٢٦

(١٦) Ibid. p. ٢٧

(١٧) Ibid. p. ١٤٠

(١٨) عبده الراجحي، المرجع المذكور، ص ٤٢.

ذاتها، وهذا لا يعني استبعاد الافادة من العلوم الأخرى.

٢- ان الفضل في تأصيل المنهج الوصفي يعود الى "دو سوسير" الذي دعا الى طرح دراسة اللغة في حال التغيّر diachrony ودراستها في حال الاستقرار (او التزامن) synchrony وان تطبيق هذا الاتجاه وجد سبيله عند سابير وبلومفيلد.

٣- ان المنهج الوصفي مع تأكيده على عنصر المعنى في الكلام الانساني قد ركّز اهتمامه على بحث الأنماط و"التراكيب الشكلية" في اللغة[١٩] .

ويأخذ الوصفيون على "النحو التقليدي" كونه "ذاتياً" subjective أي ان "القواعد" تتحدد وفقاً للدارس نفسه، اما النحو الوصفي التركيبي فيقيم تحليله للغة على اساس ارتباط الظاهرة بالظواهر الأخرى وليس على اساس ارتباطها بالدارس نفسه، لهذا فهو "موضوعي" objective . كذلك يأخذ الوصفيون عن "النحو التقليدي" اهتمامه بالعلة (why) ، أي لِمَ كان هذا هكذا ولم يكن غير ذلك، بينما يهتم النحو الوصفي بتقرير الحقائق اللغوية حسبما تدل عليها الملاحظة دون محاولة تفسيرها بتصورات غير لغوية[٢٠] .

بعد هذه النظرة السريعة على علم اللغة الوصفي في الغرب، ننتقل الى لغويينا المحدثين وتأثرهم بهذا العلم ونقدهم "للنحو التقليدي" لنحاتنا القدامى. وعلى رأس لغويينا الوصفيين يأتي الدكتور تمام حسان الذي يرى ان "الاستقراء والتقعيد طريقان من طرق الوصف في دراسة اللغة، يتوسط بينهما عمل ثالث هو التقسيم، ثم تسمية كل قسم من الأقسام الناتجة..."[٢١] وهو يرى ان هذه الأمور لا تكون الا بعد جمع المادة التي تجري ملاحظتها، وان النحويين القدماء الأوائل كالخليل وسيبويه لم يُخِلُّوا بهذا المنهج الا في

---

[١٩] المصدر نفسه، ص ٤٢ - ٤٣ .

[٢٠] Dinneen, op. cit. p. ١٦٧ . و انظر ايضاً: عبده الراجحي، المرجع المذكور، ص ٤٦ .

[٢١] تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٥٢ .

ما يختص ببعض الغلطات المنهجية الخاصة[٢٢]. ومن هذه الغلطات المنهجية عدم مراعاة العنصر الشخصي في اللغة، يقول تمام حسان : " ومن هنا ايضاً نجد الخطأ المنهجي الذي وقع فيه النحاة القدماء حيث لم يقتصر كل واحد منهم على فرد بعينه من قبيلة بعينها وانما عمدوا الى دراسة لهجات كثيرة سُمع كل منها من افواه كثيرة في نفس الوقت فضاعت الفكرة الشخصية ومن ثم الاجتماعية في اللغة[٢٣].ولكنه يقول في مكان آخر: "ولقد وجد امرؤ القيس وغيره من شعراء الجاهلية لغة عربية مشتركة بين القبائل في الشمال والجنوب، فقال شعره وقالوه بها. ولم لم تكن هذه اللغة الفصحى معروفة في العرب ما وجدها امرؤ القيس واصحابه تستحق ان يقال بها الشعر، ولعزفوا عنها الى لغة غيرها مفهومة، او الى لهجاتهم المحلية[٢٤]. والخطأ المنهجي الثاني، في راي الدكتور حسان، هو "جعل المرحلة المختارة للدراسة واسعة المدى... وانه كان من الأولى بالنحاة ان يدرسوا لغة القرآن والحديث، ويعتبروها ممثلة لهذه المرحلة التي ظهرا فيها وكفى"[٢٥]. والخطأ المنهجي الثالث (ويمكن مقارنته بما سبق) هو ايقاف عصور الاستشهاد، يقول الدكتور حسان: " ولو ان الاستشهاد لم يقف عند حدّ على يد النحاة العرب لأمكن ان تجري دراسة اللغة على مراحل وعصور باستقراء ما يجدّ من النصوص الى ايامنا هذه، ولاعتُبر كل ميل غير فردي الى مخالفة القواعد السابقة تطوراً في الاستعمال اللغوي يتطلب تطوراً في النظرة الى هذه القواعد في ظل منهج وصفي لدراسة اللغة"[٢٦]. وهو يرى ان ايقاف الاستشهاد وضع الاستشهاد بكلام العرب بعد فترة معينة اعتراف من النحاة بانتهاء مرحلة وابتداء مرحلة اخرى من التطور[٢٧].

ويمكن مناقشة الدكتور حسان في عدة امور هنا، اولها : ان الاقتصار على الأخذ من فرد بعينه

---

[٢٢] المصدر نفسه ، ص. ١٦٤.
[٢٣] المصدر نفسه، ص ٨٤ – ٨٥.
[٢٤] المصدر نفسه، ص ١٨٧.
[٢٥] المصدر نفسه، ص ٨٨.
[٢٦] المصدر نفسه، ص ١٧٣.
[٢٧] المصدر نفسه، ص ١٨٩.

من قبيلة بعينها امر غير كافٍ لإنشاء "نحو" للغة مـا، وفـي الحقيقة هذا المنهـج لا يكفـي لدراسـة صوتيـة (فونولوجية) فكيف بدراسة تراكيب قد لا يستعمل كثيراً منهـا فـرد واحـد، وسـيكون تعسـفاً خلـق تراكيـب نحوية لم يذكرها هذا الفرد خاصةً بناءً على المنهج الوصفي الذي يؤمن به الدكتور حسان. ثم هو يُقرّ بأنه كانت هناك لغة مشتركة بين القبائل في الشمال والجنوب، فلا بدَّ اذاً ان تكـون الفـروق فـي اللهجـات غيـر ذات شأن كبير.

الأمر الثاني: هل يريد الدكتور حسان ان يقرر لنا ما إذا كان من الأَولى للنحاة القدماء دراسة لغة القرآن والحديث والاكتفاء بهما ام انه كان عليهم الاّ يوقفوا الاستشهاد في عصر معيّن؟ ثـم مـا هـو تقييمـه للميل غير الفردي في مخالفة القواعد وهو كان قد قرر سابقاً انه كان يجب الاعتماد علـى فـرد بعينـه مـن قبيلة بعينها؟

الأمر الثالث: يبدو ان الدكتور حسان ينسى القرآن واهميته للأمـة التـي مـا وحّدهـا غيـر الاسـلام وصـار القرآن دستورها دنيا وديناً، وبالتالي يغفل اهمية العناية بلغة القرآن والاستمرار بالعنايـة بهـا طالمـا الاسلام دين هذه الأمة، والا لصرنا نقرأ القرآن كما يقرأ عربّي تعلّم العبرية التوراة. اننـا مـع المحـاولات المبكرة لضبط القرآن خرجنا بقراءات سبع وقد تكون عشراً عند البعـض عـدا عـن القـراءات الشـاذّة. ولا يظنَّن احد ان هذا دليل على تعدد اللهجات لدى القرّاء، فاللهجات موجودة فـي القـرآن وجودهـا دليـل علـى لغة فصحى مشتركة. والقراءات، في جانبها النحوي، قد تبدّل في المعنى او لا تبدّل، لكنهـا، بـلا شـك، لا تعني لغات مفترقة، والتعبير الأصح، وربما الوحيد، هو كونها قراءات لا اكثر ولا اقل.

وقد يكون من المفيد هنا ان نذكر رأي الدكتور ابراهيم السامرائي في كتابه "في اللهجات العربيـة القديمة"، اذ يقول في الخاتمة: "وقد مرَّ الكثير من الظواهر اللغوية التي وجدناها سائدة في القبائل الشـرقية والقبائل الغربية، فهي من المواد المشتركة...... وقد يكون السبب في هذا ان العربية في تاريخهـا المبكـر

قد اتجهت الى التوحّد، وكان ذلك بسبب لغة القرآن التي لم تبقِ للغات القبائل الا شذرات وجدناها في القراءات التي لم تنل شيئاً من السعة والشيوع"[٢٨] .

ولكي نعطي فكرة عن عمل الباحث في اللغة في رأي الدكتور تمام حسان نورد ما قرره على الباحث: يقرر د. حسان ما على الباحث في اللغة ان يراعيه في التقعيد، فيقول:

يجب على الباحث اذاً ان يراعي الأمور التالية في التقعيد:

١- ان القاعدة وصف لسلوك عملي معيّن في تركيب اللغة، ويلاحظ ان يكون هذا السلوك مطّرداً حتى يُعبَّر عنه بالقاعدة.

٢- ان القاعدة لهذا السبب جزء من المنهج لا جزء من اللغة.

٣- انها لا بدّ ان تتصف بالعموم ولكنها ليس من الضروري ان تتصف بالشمول، أي ان تكون عامة لا محلية.

٤- ان تكون القاعدة مختصرة قدر الطاقة، فاذا طالت فقدت عنصراً هاماً من عناصر كنايتها وفائدتها العملية.

٥- وما دامت القاعدة نتيجة من نتائج الاستقراء فمن الضروري ايراد بعض الشواهد والأمثلة التي جرى عليها الاستقراء، لتكون سنداً للقاعدة وايضاحاً لها؛ ويحسن ان تكون الشواهد والأمثلة كثيرة الى حدٍّ ما[٢٩].

---

[٢٨] ابراهيم السامرائي، في اللهجات العربية القديمة، ص ١٧٩.

[٢٩] تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٦٣.

المعيارية في اللغة

يقدّم الدكتور رمزي بعلبكي في "معجم المصطلحات اللغوية" مصطلحاً آخر للمعيارية هو تقنينية (والمصطلح بالانجليزية prescriptivism) فيعرفه كالتالي: "منهج في النحو قوامُه الأساسي التقنين، أي التقعيد[٣٠]. ثم يحيل على مادة prescriptive grammar وهي في اصطلاحه "نحو تقنيني" فيعرفها كالتالي: "نحو يُعنى بالتقنين والتقعيد ويفترض نموذجاً يتّخذه مثالاً للصحة فيقيس به الاستعمال: يقبله ان وافقه ويرفضه ان خالفه"[٣١].

ويقول مؤلفا كتاب "مدخل الى اللغة" An Introduction to Language انه منذ العصور القديمة كان هناك "صفائيون purists "ممن آمنوا ان التغيُّر اللغوي هو فساد وان هناك اشكالاً صحيحة يجب على كل "المتقفين ان يستعملوها في الكلام والكتابة". ومن هنا نشأ النحو التقنيني او المعياري prescriptive grammar. ويُدخل المؤلفان النحويين البصريين في القرن الثامن الميلادي في عداد المعياريين[٣٢].

ويعطي المؤلفان مثالاً للمعياريين بالأسقف "روبرت لوث" Bishop R. Lowth الذي ألّف كتاباً في النحو سنة ١٧٦٢ اعترض فيه على بعض الاستعمالات التي كانت سائدة آنذٍ والتي يقول المؤلفان ان كل طبقات المجتمع كانت تستعملها مثل: You was wrong about that: I don't have none ومثل: Mathilda is fatter than me . وقد قرر "لوث" Lowth ان : نفيَيْن يصنعان توكيداً ايجابياً، ولذلك على المرء ان يقول I don't have any، وقرر انه حتى ولو كانت you بصيغة المفرد فيجب ان تُتبع بالجمع were وان (I) وليس (me)، و (He) وليس (him) و (They) وليس (them) الخ. يجب ان تُستعمل بعد than في المقارنة[٣٣]. بينما

---

[٣٠] رمزي بعلبكي، المرجع المذكور، ص ٣٩٥.

[٣١] المصدر نفسه.

[٣٢] Victoria Fromkin and Robert Rodman. An Introduction to Language.Holt - Saunders Int., p. ١٣

[٣٣] المصدر نفسه، ص ١٤.

يقول "دنين Dinneen "ان "لوث" جعل He is taller than I و He is taller than me " تنويعين" حرّين free variants . ففي استعماله He is taller than I هناك محذوف مقدّر هو (am) أي ان الجملة هي: He is taller than I (am) جاعلاً than "اداة ربط" أو "عاطفاً" conjunction، بينما حين تتبعها me فهي "مِثل" جارّ preposition[٣٤]. ويقرر Fromkin و Rodman ان هذا كان بتأثُّره باللاتينية والنحو اللاتيني[٣٥]. وكذلك كان "لوث" قد قرر ان استعمال I had rather استعمال خاطىء نشأ من الاختصار abbriviation (I'd rather) وان الأصل هو I would rather [٣٦].

والمفارقة هنا ان هذه التعابير التي قرّرها " لوث " كان لها تأثير دائم – كما يلاحظ Dinneen- وان بعضها يُنظر اليه اليوم على انه "منطقي خِلقيا Inherently logical "لأنه من "القياسيات الحالية" present regularities، مع ان هذه التعابير، في الحقيقة، هي قيد الاستعمال نتيجةً لاختيار رجل واحد[٣٧]. بمعنى آخر، نستطيع ان نقول ان ما كان يمكن أن يُعَدَّ معيارياً صار الآن داخلاً في حقل الوصف، فهذه التعابير هي المستعملة الآن.

اما بالنسبة لبعض لغويينا المحدثين فهم يرون ان النحاة القدماء كانوا معياريين، يقول الدكتور تمام حسان " وانا المح هذه المعيارية الصارخة في كتب ابن هشام[٣٨]" وهو يقصد تغليب القاعدة على النص وجعلها "قانوناً حتمياً يجب احترامه وطاعته حتى على اولئك الذين نشأوا في جحر اللغة وشبوا على استعمالها[٣٩]".

---

(٣٤) Dinneen, op. cit, p. ١٦١

(٣٥) Fromkin and Rodman, op. cit., p ١٤

(٣٦) Dinneen, op. cit., p. ١٦١

(٣٧) المصدر نفسه.

(٣٨) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٢٤

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٢٣.

لكنه لا يكتفي باتهام النحاة المتأخرين بكونهم معياريين، بل يرى ان نحاة العرب الأوائل وفيهم سيبويه يقعون في مخالفات منهجية. فيؤكد ما سبق ان ذكرناه نقلاً عنه في حديثنا عن المنهج الوصفي من ان النحاة العرب الأوئل شملوا بدراستهم "مراحل متعاقبة من تاريخ اللغة العربية، تبدأ من حوالى مائة وخمسين عاماً قبل الاسلام، وتنتهي بانتهاء ما يسمونه عصر الاحتجاج؛ أي انهم يشملون ما يقرب من ثلاثة قرون من تاريخ لغة العرب[٤٠] . ويرى ان تلك حقبة لا يمكن ان تظلّ اللغة فيها ثابتة على حالها. ومأخذ الدكتور حسان على النحاة العرب القدماء انهم عمدوا الى لهجات متعددة من نفس اللغة فخلطوا بينها وحاولوا ايجاد نحوٍ عام لها جميعاً[٤١]". وهذا المأخذ يراه الدكتور مهدي المخزومي ايضاً، ويضيف اليه مأخذاً آخر هو انهم لم يستكملوا استقراءاتهم قبل ان يضعوا اصولهم، وبذلك " لا يستطاع الاطمئنان الى صِحّة النتائج التي وصلوا اليها، ولا الى صحة المنهج الذي عقدوا عليه دراستهم[٤٢]". ولكنه مع تخطئته لهم في انهم اعتبروا اللغة العربية بما فيها من لهجات مختلفة لهجةً واحدة، الا انه يرى انهم اخطأوا في انهم "عزلوا جانباً كبيراً من اللهجات واللغات، فأقصوها عن مجال البحث والدرس، فلم يعتدّوا الا بما كان في كَبِد الصحراء من لهجات الأعراب الذين لم يجاوروا الأرياف والأمصار[٤٣]". ولكنه بعد صفحتين يقول: "على انهم ما عتموا انهم ناقضوا نفسهم، فاستشهدوا بشعر عديّ بن زيد والكُمَيْت والطِرِمّاح وجرير والفرزدق، وهم من سكان الأمصار". ويضيف قائلاً: "واستشهدوا بأقوال الموالي، وكان الجاحظ يقول – حين عرض لذكر ابي عليّ عمرو بن فائد الأسواري القاصّ البصريّ المعروف –: كان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتجّ به[٤٤]". ويذكر الى ذلك انهم استشهدوا بشعر بشّار، وهو –

---

[٤٠] المصدر نفسه، ص ٢٥.

[٤١] المصدر نفسه.

[٤٢] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص ٥٢ – ٥٣ .

[٤٣] المصدر نفسه، ص ٥٣ – ٥٤.

[٤٤] المصدر نفسه، ص ٥٦.

مع انه مولى – لم يذق عيشة البَدو، ولم يبرح الحاضرة الا قليلاً[٤٥]. ونحن نسأل ما الذي كان مطلوباً من نحاتنا القدماء: ان يدرسوا لهجة واحدة أم ان يدرسوا لهجات متعددة هي في حقيقتها لغة واحدة بما فيها من مشترك جعل اصحابها قادرين على التفاهم بها رغم بعض التمايز فيما بينها؟ خاصة ان القرآن قد نزل بها وفيه تظهر احياناً مفردات وصيغ نحوية لأكثر من لهجة لكنها لم تشكل عائقاً في كون القرآن عربياً المشتَرَك فيه هو الأعم.

النحو التحويلي – التوليدي

في عام ١٩٥٧ أصدر تشومسكي كتابه Syntactic Structures وفيه اعلن نظرية جديدة في النحو، وهي ما يعرف الآن بالنحو التحويلي – التوليدي .Transformationl-Generative grammar يرى تشومسكي ان النحو يعكس سلوك المتكلم الذي يستطيع، بناءً على خبرة محدودة وعَرَضية مع اللغة، ان يُنتج او يفهم عدداً غير محدود من الجُمَل الجديدة. كما يرى ان مفهوم "الصوابية النحوية" لا علاقة له بالمعنى او الدلالة. ويمثل على هذا بجملتين لا معنى لهما ولكن ايّ متكلم بالانجليزية سيدرك ان أولاهما فقط نحوية:

١- Colorless green ideas sleep furiously

٢- Furiously sleep ideas green colorless

ثم يستنتج ان النحو مستقلّ عن المعنى. ويقرر ان العلاقة بين المعنى والتركيب syntax يمكن دراستها فقط بعد ان تكون البنية النظمية syntactic structure قد قُررت على اسس مستقلة[٤٦]. ويدلّل على ذلك بطرح بعض الأمثلة: فيرى انه لا يوجد سبب يتعلق بالدلالة او المعنى لتفضيل الأولى من هاتين الجملتين

١- have you a book on modern music?

---

[٤٥] المصدر نفسه.

[٤٦] Noam Chomsky, Syntactic Structures. pp. ١٥ - ١٧

٢- read you a book on modern music?

أو بين هاتين الجملتين:

٣- The book seems interesting

٤- The child seems sleeping

ويقرر ان هناك اسباباً تتعلق بالبنية العميقة للتفريق بين هذه الجُمل وصحتها[٤٧]. ثم يعطي امثلة من النحو التحويلي لايضاح الصورة فيُظهر اننا لو قمنا بعملية تحويلية لجملة:

The child seems sleeping

الى

the very sleeping child

وقمنا بعملية تحويلية لجملة:

The book seems interesting

الى:

the very interesting book

لظهر لنا سبب تفضيل الجملة الأولى على الثانية والثالثة على الرابعة من الوجهة النحوية[٤٨]. وقد انتقد تشومسكي الوصفيين "البلومفيلديين" لأن تركيزهم كان يقف على وصف "السطح اللغوي" كما هو بمقاييس المنبّه والاستجابة (وقد سبق ان اشرنا الى ذلك في حديثنا عن بلومفيلد ومثله الشهير بين "جاك" و"جيل")، وهذا يعني ان "البلومفيلديين" كانوا، في بحثهم اللغوي، يعاملون الانسان كله كآلة وكان درسهم ميكانيكياً،

---

[٤٧] المصدر نفسه، ص ١٥.

[٤٨] المصدر نفسه، ص ٧٥.

وكانوا يعدون هذا الدرس "علمياً" اكثر من النحو التقليدي الذي كان يشدد على "عقلانية" البحث والوصف في اللغة[٤٩].

ويقرر تشومسكي ان الطفل الذي تعلّم لغة، فعل ذلك بأن طوّر " تعبيراً داخلياً" (internal representation) لنظام من القواعد التي تقرر كيف تتشكل الجُمَل وتُستَعمَل وتُفهم. وعليه فالطفل لديه القدرة لابتكار نحوٍ مناسب من المعطيات اللغوية الأولية primary linguistic data [٥٠]، وهو، اذاً، مطبوع على تعلُّم اللغة كلامياً قبل ان يتعلم القراءة والكتابة اللتين تحتاجان الى تدريب[٥١].

وانطلاقاً من هذا فالنحو التوليدي عند تشومسكي على مستويين، الأول: مستوى الكفاية الوصفية descriptive adequacy من حيث انه يصف الموضوع بطريقة صحيحة، وبشكل خاص يعني الحسّ اللغوي لابن اللغة native speaker ، وبهذا المعنى فالنحو مبررّ على أُسس "خارجية "external" grounds. اما المستوى الثاني الأعمق، وهو مستوى كفاية التفسير explanatory adequacy ، فالنحو يجد تبريره في ان النظرية النحوية التي يعتمدها تختار هذا النحو دون غيره بناءً على مُعطيات لغوية، وهو على هذا الأساس – نعني النحو التوليدي – مبررّ على اسس "داخلية" "internal" grounds [٥٢] . ولأن هذه الأسس "الداخلية" تتحقق بقدرات فطرية، فان هذا يعني وجود "عالميات لغوية شكلية وماديةFormal and substantive " universals.وهو يرى ان النحو العالمي التقليدي كان ايضاً نظرية عالميات لغوية مادية، ليس فقط من حيث اهتمامه بعلم الأصوات، بل ايضاً من حيث انه اقرّ بأن بعض الفئات التركيبية كالاسم والفعل يمكن ان توجد في أي لغة[٥٣].

---

(٤٩) John Lyons, Chomsky, p. ٩٢

(٥٠) Noam Chomsky, Aspects ..., p. ٢٥

(٥١) Lyons, op. cit., p. ١٤

(٥٢) Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, p. ٢٧

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٨.

وتأسيساً على ما سبق من تعلّق اللغة بالحس اللغوي لابن اللغة ومن كونهـا فطريـة innate يبني تشومسكي نظريته اللغوية على اساس عقلي خصوصاً، لادراكه بأن اللغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات (ومن مجموعة محدودة من الرموز الكتابية). ومع ذلك، فانها، أي اللغة، تنتج او تولّد (generates) جملاً لا نهاية لها، وعليه فاللغة خلاّقة بطبيعتها لأن كل متكلم بها يستطيع ان ينتج جُملاً لم يسبق ان قالها غيره، ويستطيع السامع ان يفهم جملاً لم يسبق له ان سمعها من قبل[٥٤]. وهنا يطلق تشومسكي مصطلحيه " الكِفاية competence "و"الأداء performance "فالمصطلح الأول (الكفاية) يتعلق بمدى معرفة المتكلم للغة وقدرته على الحكم على " نحوية" الجُمَلgrammaticality ، بينما المصطلح الثاني (الأداء) يتعلق باستعمال المتكلم للغة والحكم على كون الكلام مقبولاً .acceptable ولايضاح الصورة نقول ان مصطلح "الأداء" يعكس "الكفاية" أي ان ما يجري على السطح من اداء فونولوجي (صوتي) – او الكلام المنطوق به – هو انعكاس او ظهور لما يجري في العمق او وراء الوعي، أي ان "الكفاية" تمثل البنية العميقة deep structure وتقدم التفسير الدلالي فيما تقدم البنية السطحية surface structure التفسير الصوتي[٥٥]. لذا فدراسة "الكفاية" هي دراسة النحو المتحقق سيكولوجياً، والذي يحوي المعرفة اللغوية كلها التي يملكها المتكلم، ان كانت نظرية او مكتسبة[٥٦]. بينما دراسة "الأداء" تتعلق بالقواعد التي تحكم استعمال اللغة، هنا يدخل السياق وسهولة الفهم وكون الكلام حقيقياً (او غير محال كما عبّر سيبويه) في الموضوع[٥٧] . ويلفت النظر هنا تشابه آراء تشومسكي وسيبويه، اذ يضع الأخير باباً يسميه "باب الاستقامة من الكلام والإحالة" [٥٨] فيقول:

---

[٥٤] الراجحي، المرجع المذكور، ص ١١٤ و ١٥ Chnomsky, Syntactic Structures, p.

[٥٥] الراجحي، المرجع المذكور، ص ١١٥ و Chnomsky, Aspects of the Theory of Syntax, p.١١ and p.١٦

[٥٦] Neil Smith and Deidre Wilson, Modern Linguistics, p. ٤٤

[٥٧] Chnomsky, Aspects..., p. ١١ و ibid.

[٥٨] الكتاب، ج ١، ص ٢٥.

فمنه مستقيم حسن، ومُحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو مُحال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتُك أمسِ وسآتيك غداً .

وأما المحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخر، فتقول: أتيتك غداً، وسآتيك أمس.

واما المستقيم الكذب فقولك: حَمَلتُ الجبلَ، وشربتُ ماء البحر ونحوه.

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي وزيدٌ يأتيك، وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف اشرب ماء البحر أمس[٥٩].

فالتركيب و"نحوية" الجملة ينفصلان عن المعنى عند كلٍّ من تشومسكي وسيبويه. فقد تكون الجملة " نحوية" من حيث التركيب دون ان يكون لها معنى وقد تكون " نحوية" لها معنى أو غير " نحوية" لها معنى، أو قد تكون ذات معنى لكنها غير " نحوية."

ويقودنا هذا، من خلال قضية المعنى، الى المكوّنات Components عند تشومسكي، فهي مُكوّن نظمي (أو تركيبي syntactic)، ومكوّن فونولوجي، ومكوّن دلاليsemantic [٦٠] . وننفذ من خلال ذلك الى القاعدة .base ويوضح Dinneen ذلك – في المكان ذاته – بالقول: بما ان المكوّن النظمي يختص بالبنية العميقة، وفي حين يتعلق التفسير الدلالي، وعبر التحويلات transformations ، بالبنية السطحية، التي يتحدد لها تفسير صوتي (فونولوجي) بواسطة المكوّن الفونولوجي، وبما ان المكون النظمي هو الذي يولّد (generates)، بينما الآخران – أي المكوّن الفونولوجي والمكوّن الدلالي – يفسران، فان المكوّن النظمي syntacticيمكن ان يسمى القاعدة. ويوضح الرسم التالي الموضوع[٦١] :

---

[٥٩] نفسه، ص ٢٥ – ٢٦.

[٦٠] Dinneen, op. cit., p. ٣٨٢

[٦١] Chnomsky, Language and Mind, p. ١٤

B ⟶ deep structure —S→ Semantic representation
—T→ Surface structure —P→ Phonetic representation

واذا اردنا ان نوضح العلاقة بين ما يقوله تشومسكي واللغـة العربيـة المعربـة، مـن خـلال قضيـة المكوّنات، نأخذ راي الدكتور احمد حاطوم في كتابه "كتاب الإعراب" حيث يتطـرق الـى دلاليـة الاعـراب (علاقة المعنى بالاعراب)، فهو يرى ان لنا تسمية ثلاثة اعرابات:

-اعراب شكلي

-اعراب دلالي

-اعراب شكلي دلالي

فالاعراب الشكلي لا يؤدي معنى او بالأحرى عدم وجود اعراب لا يُخِلّ بـالمعنى. امـا الاعـراب الدلالي فهو كل اعراب لا تُؤدّى المعاني النحوية – التراكيبية لكلماته، ولا تُفهم الا به. ويقول "حاطوم" انه وجد شواهد من القرآن والشعر على هذا، غير انه لم يعثر على شواهد من النثر(١٢).

ونقتطف نماذج من الاعراب الدلالي عند حاطوم اذ يـأخذ الآيـة ١٥٥ مـن سـورة الانعـام: "وهـذا كتابٌ انزلناه مباركٌ واتقوا الله لعلكم تُرحَمون" ويُعلّق علـى اختيـار الرفـع فـي كلمـة "مبـارك"، فيقـول: "لا نستطيع، بغير الاعراب، ان نُدرك المعنى النحوي – التركيزي المطلوب، الماثل في كلمـة "مبـارك" .فقـط بالاعراب الظاهر في الكلمة، ندرك انها نعتٌ لـ "كتاب"، وليست حالاً من الضمير فـي لفظـة "انزلنـاه"(١٣). ويقرر انه مهما كان الفرق بين حالية الكلمة ونعتيتها فانه يبقى فرقاً.

ونأخذ نموذجاً آخر هو الآية ٢٠ من سـورة الحـج: "يُصهَـرُ بـهِ مـا فـي بطونهـم والجلـودُ" فيقـرر ايضاً، اننا لا نستطيع، بغير الاعراب، ان نُدرك المعنى النحوي – التركيبي المطلوب لكلمة الجلـود. "فقـط

---

(١٢) احمد حاطوم، كتاب الاعراب، ص ٢٢٥.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٢ – ٢٣٥.

بالرفع الظاهر في هذه الكلمة، ندرك انها معطوفة على الاسم الموصول "ما"، وليست معطوفة على الاسم المجرور في لفظة "بطونهم". ومعلوم ما بين الاعرابين من فرقٍ في المعنى النحوي – التركيبي العائد الى كل منهما"[٦٤].

وفي شاهد اوضح من القرآن يُبرِز اثر الاعراب الدلالي، ففي الاية ٧٨ من سورة الرحمن: "تباركَ اسمُ ربِّك ذي الجلال والاكرام" يقول: نلاحظ ان القطعة الكلامية "ذي الجلال والاكرام" يمكن ان تكون نصاً لكلمة "اسم" المرفوعة، وكلمة "ربّ" المجرورة: لأننا اذا قبلنا التبارُك لاسم الله فاننا نقبل لهذا الاسم الجلالَ والاكرام ايضاً. فاذا اضفنا انَّ دُعاءَ التبارُك مُوجّه، مِن أوّل الكلام، الى اسم الله وليس الى ذاته، كان لنا انَّ ذهن المتلقي انما يتوجَّه الى جعل النصب لاسم الله ايضاً، وليس لذاته، وان لم يكن ما يُظهر المعنى الالهي ويجعل النعت للذات الا الاعراب"[٦٥].

ويأتي حاطوم بشاهدين شعريين على الاعراب الدلالي اولهما بيتٌ للفرزدق ورد في سياق خبر عند ابن جني في الخصائص (ج ٣، ص ٢٠٣)، وفيه "أن الفرزدق حضر مجلس النحوي البصري المعروف عبد الله بن ابي اسحق الزِّيادي الحضرمي، فقال له: كيف تُنشِد:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان في الألباب ما تفعلُ الخمرُ

فقال الفرزدق: كذا أُنشد. فقال ابن ابي اسحق: ما كان عليك لو قلت فعولين؟ فقال الفرزدق: لو شئت ان تُسبِّح لسبّحت. ونهض فلم يعرف احد في المجلس ما اراد بقوله... أي لو نصبَ لأخبر ان الله خلقهما وامرهما ان تفعلا ذلك، وانما ارد ذلك: انهما تفعلان بالألباب ما تفعل الخمر..." ويعلّق "حاطوم" على هذا

---

[٦٤] المصدر نفسه، ص ٢٣٥.

[٦٥] المصدر نفسه، ص ٢٣٦.

بأن كلمة " فعولان" في اعرابيها يمكن ان يكون لكلٍّ منهما معنىً لا يكون ابداً لسواه ولا يكون ابداً بسواه[٦٦].

ويأتي الكاتب بشاهده الشعري الآخر من قول الشاعر نجيب جمال الدين في ديوانه "الكتابةعلى اعمدة الشمس" (ص ١١) حيث يقول:

وَهَزّتْ دَماليجَ دَلٌّ لتسألَ:	ماذا يُحاكي رنينُ السِّوارْ
فقلتُ: كبيتٍ بغابةِ خوفٍ	وريحٌ وثلجٌ وبعضُ جِمارْ
وشيخٌ على الحجر يُرمى فقصفٌ	ويا ما أحيلى بليلِ الصِّغارْ
وعاد الى الهزّ زنبقها الغضُّ	يغوي القصيد ويغري... يغارْ

ويلاحظ ان "رفع الكلمات الخمس المرفوعة يؤدي معنى "ليس للجرّ الا ان يؤدي سواه. وقيام الشاعر بضبط هذه الكلمات بالضم هو تلبية لحاجة طبيعية احسّها وهو يؤدي معانيه ويوجهها الى سواه، لأن عدم التحريك لا يمكن، لا في السياق التركيبي، ولا في السياق الدلالي للأبيات الا ان يفضي الى الجر بالعطف على مجرور. انّ ذهن المتلقي الخالي من معنى الرفع الذي عبَّر عنه الشاعر بالضم الظاهر، لا يذهب الى هذا المعنى الا اذا نبّهه منشيءُ الكلام اليه، ودفعه دفعاً للبحث عن معنى مغاير لمعنى الجرّ. وبالتالي "ليس لنا الا بالرفع المعبَّر عنه بالضم الظاهر، أي ليس لنا الا بالاعراب ان نفهم المعنى النحوي – التركيبي الذي اراده الشاعر لكلماته وابياته التي تتضمن هذه الكلمات"[٦٧].

ولننتقل الآن الى قواعد النحو التحويلي التي يحددها Bach [٦٨] بأنها قد تتبع ايّاً من العمليات التالية:

---

(٦٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٧.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ٢٣٣ – ٢٣٧.

(٦٨) Emmon Bach, An Introduction to Transformational Grammar, p. ٧٠.

قواعد الحذف	deletion: a + b → (or a→ null)
قواعد الإحلال	replacement: a→ b
قواعد التوسع	expansion: a → b + c
قواعد الاختصار	reduction: a + b → c
قواعد الزيادة	addition: a → a + b
قواعد اعادة الترتيب	Permutation: a + b → b + a

لنجد، كما قال عبده الراجحي، ان "طريقة النحو التحويلي تتبع عدداً من "العمليات النحوية" تشبه شبهاً غير بعيد كثيراً مما جاء في النحو العربي"[٦٩].

ويقارن الدكتور محمود سليمان ياقوت بين مصطلح "التحويل" Transformation والتقدير، فيقول: ان مصطلح "التحويل" يُعدّ الأساس الأول في العمليات النحوية التي نجدها عند التحويليين، فهناك التحويل بالاستفهام، والتحويل بالنفي، والتحويل بالاختصار، والتحويل بواسطة البناء للمجهول، والتحويل بواسطة السؤال الذي إجابته "نعم" أو "لا"، وغير ذلك. "ويندرج تحت مصطلح التحويل مصطلحات "البنية العميقة" و"البنية السطحية" و"الأصل المقدر" ولذلك يمكننا ان نقول تجاوزاً ان مصطلح "التحويل يساوي مصطلح التقدير"[٧٠] ونختم كلامنا على النحو التحويلي باقتباس من كتاب عبده الراجحي "النحو العربي والدرس الحديث" حيث يخلص الى ما يلي:

١- ان المنهج الوصفي الذي تطور في هذا القرن ليس صالحاً لدراسة "اللغة الانسانية" لأنه يركز عمله

---

(٦٩) الراجحي، المرجع المذكور، ص ١٤٠ .

(٧٠) محمود سليمان ياقوت، قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين، ص ١٨٠.

على "الواقع اللغوي" وحده كما يظهر في كلام الناس رافضاً كل ما هو وراء الاظهار المـادي للغة صوتـاً أو كتابة.

٢- ان العودة الى مذاهب الحركات العقلية في الفكر الانساني تؤكد قيمة اللغة في الحياة الانسانية، وان تناولها ينبغي ان يراعي هذه القيمة وهي تقتضي عملاً اكثر شمولاً واتساعاً من هذا "الاستقلال الضيق" الذي نادى به الوصفيون لعلم اللغة.

٣- ان ربط اللغة "بالعمليات العقلية" قد افضى الى نتائج مهمة في تأسيس المنهج التحويلي عند تشومسكي وزملائه وتلاميذه، بحيث تغيّر الاتجاه تغيراً يكاد يكون كاملاً عما كان عليه عند الوصفيين.

٤- ان النقد الذي وجهه الوصفيون الى النحو التقليدي - وهو الذي وُجِّه بعد ذلك الى النحو العربي - ليس مقبولاً من تشومسكي ومدرسته، بل انه يؤكد في ختام دراسته عن الديكارتيين ان عدم استمرار التطور في النظرية اللغوية منذ ذلك الحين قد اضرها، وان فحص النظرية الكلاسيكية فحصاً معتنياً مع تأكيدها على العمليات العقلية قد يثبت يوماً انها عمل ذو قيمة كبيرة[٧١].

فـي الـعـامـل

شغلت قضية العامل النحويين واللغويين العرب من قدماء ومحدثين، ومال الوصفيون الى رفض فكرة العامل من اساسها لما تصدر عنه من تصور عقليّ، مع ما جاء في المنهج الوصفي باعتباره "تركيبا" من حديث عن الوظائف النظمية التي تنشأ عند انتظام الكلمات في تركيب لغوي معين"[٧٢]. ويقول شوقي

---

[٧١] الراجحي، المرجع المذكور، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

[٧٢] الراجحي، المرجع المذكور، ص ١٤٧ .

ضيف: "وتتداخل نظرية العوامل في كل ابواب الكتاب وفصوله النحوية، بل لا نغلو اذا قلنا انها دائماً الأساس الذي يَبني عليه (سيبويه) حديثه في مباحث النحو"[٧٣].

لنأخذ بالحديث من ابن جنّي الذي عدَّ المتكلم هو العامل في الحقيقة حيث يقول: "وانما قال النحويون عامل لفظي، وعامل معنوي، ليروك ان بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه؛ كمررت بزيد، وليت عمراً قائم، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلّق به، كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم؛ هذا ظاهر الأمر ، وعليه صفحة القول، فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والجرّ والجزم انما هو للمتكلم نفسه، لا لشيء غيره. وانما قالوا لفظيّ ومعنويّ لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامّة اللفظ للفظ، او باشتمال المعنى على اللفظ. وهذا واضح"[٧٤].

هذا قول ابن جني الذي تلقفه ابن مضاء القرطبي ودعا الى الغاء نظرية العامل، وتجاوز ابن جني في قوله ان المتكلّم هو العامل، حيث يقول: "واما مذهب اهل الحق فإن هذه الأصوات انما هي من فعل الله تعالى، وانما تنسب الى الانسان كما ينسب اليه سائر افعاله الاختيارية"[٧٥]. اذ لا فاعل عنده الا الله. وهذا لأن ابن مضاء من المجبرة كما يقول الدكتور مهدي المخزومي[٧٦] . ويحاول ابن مضاء الغاء نظرية العامل والمعمول من خلال تعرّضه لمسائل النحو، كالتنازع الذي يفضل ان يستعمل فيه مصطلح التعليق. وكذلك يتعرض لباب الاشتغال حيث يرى انه " لا يُضمر رافع كما لا يُضمر ناصب، انما يرفعه المتكلم وينصبه اتباعاً لكلام العرب" [٧٧].

---

[٧٣]شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص ٦٤ .

[٧٤] ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٠٩ – ١١٠.

[٧٥] ابن مضاء القرطبي، كتاب الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، ص ٨٧.

[٧٦] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص ٢٦٥.

[٧٧] ابن مضاء، الرد على النحاة، ص ١٢١.

وقد اخذ الدكتور شوقي ضيف، محقق كتاب ابن مضاء، برأي هذا الأخير ودعا الى الانصراف عن نظرية العامل. وهو يدعو الى تصنيف جديد للنحو على قاعدة احوال الكلمات لا على قاعدة العوامل(٧٨) . وما يقوله: "أما باب كاد فاسمها نعربه فاعلاً ولا داعي للتأويل فيه. وأما باب ظن فلا داعي له؛ لأننا ندرس فيه تعدي الفعل الى مفعولين، اصلهما المبتدأ والخبر، وكذلك الشأن في باب أعلم وأرى مما يتعدى الى ثلاثة مفاعيل؛ وكل هذا تشويش؛ اذ يجب ان نضم هذين البابين الى باب المفعول به، حيث نبين هناك انه يكون واحداً ومتعدداً. وايضاً فكرة التعدي واللزوم في الأفعال يجب ان نسحبها من النحو، لأنها تدل على العمل وترتبط به، ولن يتعبنا ذلك. ففي كتب النحو من يسميها على التوالي: واقعة وغير واقعة ومجاوزة وغير مجاوزة، ومؤثرة وغير مؤثرة، فلنختر لأنفسنا احد هذه الاصطلاحات. واذاً فالأصل في المبتدأ الرفع وقد ينصب في باب انّ ولا النافية للجنس ويجر في باب رب..."(٧٩) وهو لا يهتم بأن يكون فعل "كان" تاماً أو ناقصاً فهو فعل عام(٨٠).

وعلى هذا يستمر الدكتور شوقي ضيف فلا يكاد يرى شيئاً صالحاً من عمل النحويين القدماء. لقد أرّقته فكرة العاملّ! فضاق صدره حتى بالفعل اللازم والمتعدي وتغاضى عن ثقابة نظر النحويين القدماء للجملة الاسمية ودخول النواسخ عليها، ويريد للمبتدأ ان يكون مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً على ان يعقد لذلك ابواباً مختلفة (وهذا ليس فيه تشويش؟!).

ونترك المخزومي يرد على شوقي ضيف من زاوية اخرى: "أقول: إن الغريب هو ان ينحو الدكتور نحو ما ذهب اليه ابن مضاء، الذي عملت على تكوين مذهبه في النحو عوامل دينية خاصة، ووجد في ظروف خاصة ايضاً، اوصدت امامه الباب الذي ينفذ منه الى تفهُّم اللغة وقوانينها، فان هناك

---

(٧٨) شوقي ضيف في مقدمة الرد على النحاة، ص ٥١ – ٥٣.

(٧٩) المصدر نفسه، ص ٥٥ – ٥٦.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٥٤.

عوامل لغوية، من تطور، ودوران في الاستعمال، وتأثيرات لفظية يدعو اليها وضع الصوت الى جانب الصوت، والكلمة الى جانب الكلمة، وانه لا ضَيرَ على اللغة من التأويلات والتقديرات التي تبنى على اساس من فقه اللغة وشعور بالحسّ اللغوي، عند اصحاب اللغة انفسهم"[٨١]. ويقرّ المخزومي – في المكان نفسه – ان الاختصار في الجملة وحذف بعض اجزائها ممكن على الا يُخِلّ بالمعنى. والتقدير والتأويل لا ينفيهما البحث اللغوي "لأن اللغة ترجمان للفكر وأداة من ادواته، وان حركة الجملة بترتيب اجزائها، وتواليها تتبع حركة الفكر بترتيب صوره وتواليها، فاذا اسقط الاستعمال بعض اجزاء الجملة بقيت الصور الذهنية مفهومة بالقرائن، فاذا أوّل الدارس جملة او عبارة فانما يؤول استئناساً بما تفهمه من مدلول الجملة". ثم يقول : " وحاكاه قاله ابن مضاء وما كان فيه الدكتور شوقي ضيف، فيصلح ان يكون وسيلة تسهيل على المبتدئين غير المتخصصين"[٨٢]. وهذا العامل يسميه المخزومي "العامل التوقيفي" ، أما "العامل اللغوي" فهو "من ملاحظة الظواهر اللغوية التي ترجع الى ما بين الأصوات من تأليف وتنافر، وتأثير بعامل الحروف في بعض، وملاحظه اثر الاستعمال في كثير من الأبنية والجمل"[٨٣]. لذلك فالنحاة الأولون، ويخص منهم الخليل والفرّاء، "انما نفذوا الى فكرة العامل وقالوا به، في ضوء هذه الدراسات... ثم جاءت بعد الطبقة الأولى طبقات لم تتفهم منهج أولئك، فتناولت العامل تناولاً فلسفياً، وهيأ لها ذلك طغيان المنهج العقلي، واندفاع الدارسين الى الاستفادة من الفلسفة اليونانية، والمنطق اليوناني، فانتهت دراسة العامل الى ان يُضفي عليه صفة العلّة الفلسفية، وانتهت دراسة النحو الى ما انتهت اليه من جدب وجمود"[٨٤] . ويظهر ان همَّ المخزومي الدفاع عن الخليل الذي يبدو انه يكنّ له احتراماً شديداً، اذ يكرر

---

(٨١) المخزومي، مدرسة الكوفة، ص ٢٦٨.

(٨٢) المصدر المذكور، ص ٢٦٩.

(٨٣) المصدر المذكور، ص ٢٧٤.

(٨٤) المصدر نفسه.

مقولته هذه في كتابه "الخليل بن احمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه" فيبرئه" من " تهمة" العامل، حيث يقول: "لا ينبغي ان يلام الخليل على ذلك فليس من ذنبه هو ان يستغل النحاة المتأخرون الفلسفة الى ابعد حدود الاستغلال، ويفتحوا السبيل لها لغزو المباحث النحوية..."[٨٥].

وينحو الدكتور تمام حسان نحوَ سابقيه في ردّه لفكرة العامل ويرى ان ابن مضاء قد ابان فسادها، لكنه "لم يأتِ بتفسير مقبول لاختلاف العلامات الاعرابية باختلاف المعاني النحوية ولم يُقِم مقام العامل فهماً آخر لهذه العلاقات غير قوله ان العامل هو المتكلم (!) فجعل اللغة بذلك أمراً فردياً يتوقف على اختيار المتكلم ونفى عنها الطابع العُرفي الاجتماعي الذي هو اخص خصائصها"[٨٦]. ويأتي هو بحلٍّ هو "القرائن المعنوية" وعلى اساس هذه القرائن يعرب جملة "ضرب زيدٌ عمراً"، فيقول انه وجد كلمة "ضرب" قد جاءت على صيغة (فَعَلَ) التي تدل على الفعل الماضي..." ومن هنا نبادر الى القول بان : ضرب فعل ماضٍ. ثم ننظر بعد ذلك في زيد فنلاحظ ما يأتي:

١- انه ينتمي الى مبنى الاسم (قرينة الصيغة)

٢- انه مرفوع (قرينة العلامة الاعرابية)

٣- ان العلاقة بينه وبين الفعل الماضي هي علاقة الاسناد (قرينة التعليق)

٤- انه ينتمي الى رتبة التأخر (قرينة الرتبة)

٥- ان تأخره عن الفعل رتبة محفوظة (قرينة الرتبة)

٦- ان الفعل معه مبني للمعلوم (قرينة الصيغة)

٧- ان الفعل معه مسند الى المفرد الغائب (وهذا اسناده مع الاسم الظاهر دائما) (قرينة المطابقة)

---

[٨٥] مهدي المخزومي، الخليل بن احمد الفراهيدي: اعماله ومنهجه، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

[٨٦] تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، ص ١٨٥.

وبسبب كل هذه القرائن نصل الى ان "زيد" هو الفاعل"[٨٧].

ويكرر هذا مع "عمراً" ليصل الى انه مفعول به.

ويعلق الدكتور محمود سليمان ياقوت قائلاً: "ان تلك القرائن التي اعتمد عليها (يعني الدكتور تمام حسان) لكي يعرب الجملة "ضرب زيدٌ عمراً" تتعب كثيراً في تحصيلها، خاصة وانها متنوعة، واعراب الكلمة الواحدة يعتمد على عدة قرائن... وان بعض تلك القرائن كان مكرراً، وذلك نحو " قرينة الرتبة" وهي قرينة غير ثابتة، ورتبتها غير محفوظة، وهذا يؤدي الى التقدير حتى يمكن ان نبين موقعها الصحيح وكذلك"القرائن اللفظية". ثم يأتي برسم بياني "يوضح" القرائن المعنوية. ولكي نأخذ فكرة عما يتكلم نتناول جزءاً من القرائن المعنوية وهو التخصيص، الذي هو " قرينة معنوية كبرى تتفرع عنها قرائن معنوية اخص منها على النحو الآتي[٨٨]:

القرينة المعنوية	المعنى الذي تدل عليه
١- التعدية	المفعول به
٢- الغائية (وهي تشمل غائية العلة وغائية المدى)	المفعول لأجله والمضارع بعد اللام وكي والفاء ولم واذن، الخ.
٣- المعية	المفعول معه والمضارع بعد الواو
٤- الظرفية	المفعول فيه
٥- التحديد والتوكيد	المفعول المطلق
٦- الملابسة	الحال

(٨٧) المصدر نفسه، ص ١٨١.

(٨٨) ياقوت، المصدر المذكور، ص ١٩٤.

٧- التفسير	التمييز
٨- الاخراج	الاستثناء
٩- المخالفة	الاختصاص وبعض المعاني الأخرى

ثم ننتقل الى القرائن اللفظية وهي:

١- العلامة الاعرابية	٢- الرتبة
٢- الصيغة	-٤المطابقة
٥- الربط	-٦التضام
٧- الأداة	٨- النغمة

فان الجملة التي اتى بها، وهي "ضرب زيدٌ عمراً" لو جاء اختلاف في مواقعها وجب "اعادة ترتيبها حيث نحافظ على قرينة الرتبة"[٨٩].

ويضيف "ياقوت" قائلاً: " ثم ان العامل الذي يعد اساس الدراسة النحوية - على الرغم مما اصابه من هجوم في القديم والحديث - اسهل من تلك القرائن العديدة، فانه من الممكن ان نقول إن "ضرب " هو عامل الرفع في "زيد" والنصب في "عمراً" بدلاً من تلك القرائن التي نتوصل بناءً عليها الى ان "زيد" فاعل و"عمراً" مفعول به"[٩٠]

وننهي هذا البحث المختصر برأي الدكتور عبده الراجحي في قضية العامل، يقول: "والذي يعنينا هنا هو ان نلفت الى ان التحويليين يقررون ان النحو ينبغي ان يربط البنية العميقة ببنية السطح، والبنية

---

[٨٩] ياقوت، المرجع المذكور، ص ١٥٨ - ١٥٩.

[٩٠] المصدر نفسه، ص ١٥٩.

العميقة تمثل العملية العقلية او الناحية الادراكية في اللغة conceptual structures ، ودراسة هذه البنية تقتضي فهم العلاقات لا باعتبارها وظائف على المستوى التركيبي، ولكن باعتبارها علاقات للتأثر والتأثير في التصورات العميقة، والحق ان قضية العامل –في اساسها – صحيحة في التحليل اللغوي، وقد عادت الآن في المنهج التحويلي على صورة لا تبتعد كثيراً عن الصورة التي جاءت في النحو العربي. والتحليل النحوي عند التحويليين يكاد يتجه الى تصنيف العناصر النظمية وفقاً لوقوعها تحت تأثير عوامل معينة ينبغي على الدارس ان يعرفها ابتداءً، وتكاد المصطلحات التي يستعملها التحويليون لا تختلف عن كلام العرب القدماء"[٩١].

ونختم بأن نقول ان هناك لغاتٍ معربة حية غير اللغة العربية كاللغة الألمانية واللغة الروسية وفي هاتين اللغتين " تعمل" الأفعال وحروف الجر فتؤثر في اواخر الكلمات. وحتى في اللغة الانجليزية تتردد مصطلحات subject و object و direct object and indirect object مع ان اللغة غير معربة، ولكن يظهر اثر الاعراب في مفردات كضمائر them و him و her وهذه لا تتأثر بلا سبب، بل ان الفعل مثلاً "يعمل" في مثل جملة I saw him.

في الجملة الفعلية والجملة الاسمية

عدَّ النحويون العرب القدماء (خاصة البصريين) الجملة التي تبدأ بفعل جملة فعلية والتي تبدأ باسم جملة اسمية. لكن الدكتور مهدي مخزومي يرى انهم تخبطوا في تحديد الاسمية والفعلية في الجمل، "فان تقسيمهم الجمل الى اسمية وفعلية مبني على اساس لفظيّ محض، لم يلحظوا فيه الفرق بين طبيعتين مختلفتين، فضيقوا مجال الجمل الفعلية حتى قصروها على ما تقدم فيها الفعل، ووسعوا مجال الجمل

---

[٩١] الراجحي، المرجع المذكور، ص ١٤٧ – ١٤٨.

الاسمية حتى ادخلوا فيها ما ليس منها من جمل فعلية تقدم فيها الفاعل على الفعل"[٩٢] . ويأخذ بشاهد الكوفيين على تقديم الفاعل على الفعل، وهو قول الزبّاء:

ما للجمال مشيُها وئيدا　　　　أجندلاً يحملن أم حديدا

ويعرّف الجملة الاسمية بانها الجملة التي يكون فيها المسند دالاً على دوام انتسابه الى المسند اليه. أو هي الجملة التي لا يكون فيها المسند فعلاً[٩٣].

اما الجملة الفعلية عنده فهي "الجملة التي يكون فيها المسند دالاً على التغير والتجدد، او بعبارة اخرى، هي التي يكون فيها المسند فعلاً، لأن الفعل بدلالته على الزمان هو الذي يدل على تجدد الاسناد وتغيّره، وذلك نحو: قام خالد، ويقوم خالد، وخالد يقوم، ونحو "ان احدٌ من المشركين استجارك" و "اذا ما سارقٌ بالغدر حاول..."[٩٤] وهكذا تتساوى عنده جملتا "يقوم خالد" و"خالد يقوم" على انهما جملتان فعليتان، وانما تقدم الفاعل على الفعل في الجملة الثانية.

ويمكن الاعتراض على هذا بأنه في حال دخول "إن" واخواتها و"كان" واخواتها على جملة "خالد يقوم" فما يكون اعراب خالد؟ فلو قلنا "إن خالداً يقوم" يُصبح "خالد" اسم ان المنصوب، فتعود الجملة (ربما بناءً على القواعد التحويلية) اسمية، أو بالأحرى يثبت انها جملة اسمية وليست فعلية.

ثم لنلاحظ ان الجمل الاسمية كلها تحتوي على فعل مقدّر، ففي مثل "زيدٌ هناك" عندنا تقدير "وجود" أو "كون" لأننا اذا حولنا الجملة الى الماضي صارت "زيد كان هناك". وهذا ما لاحظه النحاة القدماء من انه يأتي بعد الاسم الذي يلي اذا الفجائية مقدّرُ "كونٍ" أو "وجود "مثل: خرجتُ فاذا السبعُ، أي

---

[٩٢] مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص ٢١٧ - ٢١٨.

[٩٣] المصدر نفسه، ص ٨٦ و ١٤٤.

[٩٤] المصدر نفسه، ص ٨٦.

موجود. وكذلك الأمر مع " لولا"، في مثل "لولا عبد الله لكان كذا وكذا" ، أي " لولا عبد الله (موجود)". لذلك صحّ عندنا ان تكون الجملة الفعلية والاسمية كما قررها نحاتنا الأقدمون .

ولعلّ المقارنة باللغات الأخرى تبين رأينا أكثر، ففي اللغة الروسية تتشكل جملة اسمية لا يظهر فيها معنى الكون في الزمن الحاضر مثلاً:

أنت طالب Bbi cmygeHmb

اذا كنت تقرر من " هو" (أي أنتَ)

وتتحول الى سؤال بالتنغيم فقط Bbi cmygeHmb?

أي هل انت طالب؟

بينما لو استعملنا الماضي (وهذا تحويل) نلاحظ ان فعل "الكون" يظهر.

مقارنة اخرى يمكن ان نعقدها مع اللغة الاسبانية التي فيها فعلان للكون estar و ser . ser يُستعمل للأمور التي لا تتحول، مثلاً: انا لبناني es Libanes أو es hombre انا رجل.

اما estar فتستعمل لما يتحول ويتغير من الأمور.

الفصل الثالث

مكانة التقدير في نظرية سيبويه النحوية

بعد أن مررنا، في الفصل الثاني، على بعض القضايا التي تتصل بالنظرية اللغوية عامةً وقضية التقدير خاصةً، كالوصفية والمعيارية والنظرية التوليدية – التحويلية وقضية العامل واسمية الجملة وفعليّتها، نستطيع أن ندرس منهج سيبويه في التقدير لنرى انه كان يراعي قضايا يحاول أن يؤسس بها نظرية نحوية. وسنعرض لجملة القضايا التي اهتم سيبويه بإبرازها أو حظيت باهتمامه في شأن التقدير، فمن جملة هذه الأمور:

- أولاً: إن التقدير عنده يراعي سياق الحال context

- ثانياً: إنه يعتمد على فهم المخاطَب، فهو شريك في العملية اللغوية القائمة على طرفين اثنين.

- ثالثاً: إن التقدير يفسِّر ظواهرَ إعرابية كالنصب والجرّ ضمن نظرية العامل والمعمول.

- رابعاً: إن التقدير يمثِّل تدخُّلاً من سيبويه في تفسير الجُمل من منظوره هو وانطلاقاً من عدم اكتفائه بالوصف.

- خامساً: إن للتقدير شروطاً منها الاّ ينقض المعنى وانه يجعل – في سبيل هذا – من الجملة الواحدة جملتين متوازيتين.

- سادساً: إن التقدير عنده يقوم احياناً، على أن لبعض الحروف تقدماً على غيرها، كما يظهر في اضمار ان وليس غيرها من حروف النصب.

- سابعاً: إن سيبويه يُقرّ مبدأ اسقاط اجزاء من الكلام تسهيلاً واسراعاً: كما في التحذير والاغراء مثلاً، وهو اتجاه تسلكه اللغات جميعاً.

- ثامناً: إنه يقيم الجملة بناءَ على مبدأ الإسناد، فتقدير المبتدأ فيه اقرار بوجود جملة وكذلك في الخبر.

وسنناقش هذه الأمور واحدةً واحدةً بحيث نمثّل على كلٍّ منها بشيء من التفصيل ونحاول ربطها بما ورد في الفصل الثاني من امور الوصفية والبنية التحتية والعامل، الخ. لنصل الى استنتاجات نضمنها آخر هذا الفصل.

أولاً: في مراعاة التقدير لسياق الحال

يرى Bach أن هناك طريقة اخرى سوى "نحوية" الجُمل grammaticality لفحص صحة النظرية اللغوية، ففي هذا المجال يجد انه من المهم ان نأخذ في الحسبان امر السياق context لغوياً كان أم غير لغويّ، فكثير من اللَّبْس ambiguity لا يلاحظ لأن احتمالات المعنى المتعددة تنحصر بفضل السياق[١].

ولعلّ المثل الأكثر شهرة على تأثير سياق في فهم المعنى هو المثل الذي اورده سيبويه من "انه اذا رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلتَ: عبدُ الله وربي... الخ."[٢] ومن ذلك اضماره لفعل يقرره السياق "اذا رأيتَ رجلاً متوجهاً وجهةَ الحاجّ... فقلتَ: مكّةَ وربِّ الكعبة"[٣]. وتخريجه للآية "بل ملّةَ ابراهيم حنيفاً" حيث يربط اضمار فعل "تتّبع" بالسياق حين قيل لهم: "كونوا هُوداً أو نصارى"[٤].

وعليه فاننا نلاحظ ان سيبويه يهتم لسياق الحال، وبالتالي ما يؤثر فيه في المعنى، فيقرر مثلاً "انهم تركوا اظهار الفعل استغناءً بما يعرفونه من الحال. فسياق الحال موجود في وعي كلٍّ من المخاطِب والمخاطَب (فهما يعرفان ما يجري)، لذلك كان الاختصار ممكناً. فما يجري من الأمر يعيه كلاهما فلا يحتاج الأوّل الى التفسير والاظهار ولا يعجز الثاني عن الفهم بسبب هذا الاختصار. وفي الوقت ذاته ينبّه سيبويه الى انه حين لا تكون هناك دلالة او بالأحرى لا يشير سياق الحال الى ما يجري فانك لا تستطيع ان تضمر فعلاً او غيره. فلا تستطيع ان تقول "زيداً" دون ان يكون هناك ما يُشعر بقصدك، بينما لو كان "زيد" او غيره يستحق الضرب مثلاً ويُتَوقّع ان يحلّ هذا به، فقلت:" زيداً" فان الأمر قد وضُح.

---

(١) Emmon Bach, op. cit., p.184.

(٢) راجع الفصل الأول، ص ٣٠. وانظر الكتاب، ج ٢، ص ١٣٠.

(٣) راجع الفصل الأول، ص ٢. وانظر الكتاب، ج ١، ص ٢٥٧.

(٤) المصدر نفسه.

ويقول "كارتر" Carter في هذا المقام: انـه مـن الصعب ان نجـادل فـي ان اللغـة بالنسبة لسيبويه كانت دائماً " تعمل" (او تتواجد) في سياق حقيقي بيـن المتكلـم والمستمع، وان الحـذف ممكـن فقـط عندمـا يجعل السياقُ الحقيقيّ العناصر المحذوفة بيّنةً[٥].

ويؤكّد هذا قول سيبويه: "وسألت الخليل عن قوله جلّ ذِكْـرُهُ: "حتـى اذا جاؤوهـا وفُتّحـت ابوابُهـا" اين جوابها؟ وعن قوله جلَّ وعلا " ولو يرى الظالمون اذ يَرَوْنَ العذاب"، "ولو تَـرَى اذ وُقِفوا علـى النـار" فقال: ان العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجـواب فـي كلامهم، لِعِلْمِ المُخبَر لأيّ شـيء وُضـع هـذا الكلام"[٦]. ردُّ الخليل هذا يجعلنا نحسّ كم هـي عقليـة العمليـة اللغويـة والـى ايّ حـدٍّ يؤثـر العقل البـاطن بالاضافة الى السياق في فهم المعنى وندرك مدى تقارب نظرة الخليل وبالتالي سيبويه الى نظرة النحوييـن التحويليين، ومدى اهمية الكفاية اللغوية competence عند مستعمل اللغة.

ثانياً: اعتماد التقدير على فهم المخاطَب

تختلف العلاقة الكلامية بين المخاطِب والمخـاطَب عـن السياق context فـي ان السـياق قـد يـدلُّ الحَدَثُ فيه (أي يكون ذا دلالة) وهذا يمكن ان يـؤدي الـى الاضمـار والتقديـر كمـا فـي قولهـم: مكـةَ وربِّ الكعبةَ، حيث كانت الدلالة من رؤية الحاجّ وملبسه، الخ. أو كما في قولهم: القرطـاسَ والله، يعنـي أصبـتَ القرطاسَ. أما العلاقة اللغوية بين اثنين فهي علاقـة كـلام متبـادَل بيـن متكلـم مثـالي ومستمع مثـالي ideal speaker -hearer، فهنا يوضح الحديث بين المتكلمَين اتجاه الكلام فيصير الاستغناء ممكناً.

Michael G. Carter, "Elision" in Proceedings of the Colloqium on Arabic Grammar, ed. by K. Dévényi [٥] & T. Ivànyi (Budapest), 1991, p. 126.

[٦] راجع الفصل الأول، ص ٤٨ وانظر الكتاب، ج ٣، ص ١٠٣.

ومن امثلة سيبويه على هذا ان "يقول الرجلُ رأيتُ فيما يرى النائمُ كذا وكذا، فتقول: خيراً وما "قسرٌ، وخيراً لنا وشرّاً لعدوّنا... الخ."[٧] ومثل ذلك في سياق الحديث " قول العرب: حدَّث فلانٌ بكذا وكذا، فتقول: صادقاً والله. أو انشدك شعراً، فتقول: صادقاً والله أي قاله صادقاً[٨]. واظهر من هذا في الدلالة على الاعتماد على فهم المخاطب التحذير اذ تكتفي بأن تقول: الأسدَ الأسدَ ليفهم انك تحذره من الأسد.

ثالثاً: تفسير التقدير لظواهر اعرابية

يستغل سيبويه التقدير في تفسير ظواهر اعرابية كالنصب والجر، ضمن نظرية العامل والمعمول. ونأخذ مثلاً على ذلك النصب على التعظيم والمدح، وقد برز هذا واضحاً في تعليله لنصب "والمقيمين الصلاةَ" على تقدير أمدح المقيمين الصلاة، او ما شابه ذلك. ومثل ذلك "والصابرين". وكذلك النصب على الشتم في قراءة من قرأ "وامرأتُه حمّالةَ الحطب"، وهو يؤكد ان هذا فعلٌ ولا يُستعمل اظهارُه.

ويمكن ان نقول هنا ان نظرية العامل والمعمول لها حيّز كبير في تفكير سيبويه النحوي وفي عملية التقدير عنه. ففي القَسَم مثلاً يُدرك ان هناك ادوات للقَسَم كالواو والباء والتاء (نادراً)، ولكنه يقدّر فعلاً للقسم ويضمره وهو يجعله كما " تضيف مررتُ بالباء الا ان الفعل يجيء مضمراً في هذا الباب"[٩]. والملاحظ هنا اهتمامه بمعنى القسم، لذلك لا بدَّ من اضمار فعل القسم هذا.

ولا يرضى سيبويه ان تكون "الواو" جارّة فيفسر قولهم:

---

[٧] راجع الفصل الأول، ص ٧، وانظر الكتاب، ج ١، ص ٢٧٠.

[٨] راجع الفصل الأول، ص ٨، وانظر الكتاب، ج ١، ص ٢٧١.

[٩] الكتاب، ج ٣، ص ٤٩٦ - ٤٨٧.

وبلدةٍ ليس فيها أنيسُ

على اضمار "ربَّ".

وكما يلاحظ د. بعلبكي فان استخدام سيبويه للتقدير ليُظهر التناسق الضمني the underlying harmony لعبارات utterances تُسيِّره قناعتُه بأن الابتداء (هنا وجود الاسم في الحالة الاسمية – حالة الرفع – غير متعلق بعامل خارجي) هو الحالة الأساسية للأسم: "الاسم اول احواله الابتداء"[١٠]، لذلك، يتابع د. بعلبكي فان أي حالة اخرى يجب ان تفسَّر بعامل يشمل الرافع والناصب والجارّ، كما تستدعي الحالة. ويشير في الهامش الى ان حالة الرفع، بالنسبة لسيبويه وغيره من النحويين، قد تعود لعامل لفظي او معنوي بينما حالتا النصب والجرّ تعودان فقط للعامل اللفظي[١١].

وضمن نظرية العامل والمعمول يفسِّر سيبويه نصب المصادر نحو الحذرَ الحذرَ ويجعل تثنيتها بدلاً من التلفُّظ بالفعل مقارناً اياها بـ"اياك" في التحذير وكونها بدلاً من التلفظ بالفعل. ولكنه لا بدَّ من فعل "نظري" يبرر النصب. يقول سيبويه: "ومما جُعل بدلاً من اللفظ بالفعل قولهم الحذرَ الحذرَ، والنجاءَ النجاءَ، وضرباً ضرباً، فانما انتصب هذا على الزمْ الحذرَ، وعليك النجاءَ، ولكنهم حذفوا لأنه صار بمنزلة افعل. ودخولُ الزمْ وعليك على افعل محال"[١٢]. (يعني دخول فعل امر على فعل امر آخر). فهو يفسِّر ظاهرة اعرابية (النصب هنا) من خلال نظرية العامل والمعمول، وهو يُدرك ان هذا العامل لا يظهر في كلام العرب، لذلك عدَّه فعلاً مضمراً متروكاً اظهارُه، ولكنه موجود مستغنىً عنه لسبب يدخل ضمن النظرية النحوية المتناغمة عنده، وهذا السبب استحالة دخول فعل امر على فعل امر آخر. وهذا يمكن

---

(١٠) الكتاب، ج ١، ص ٢٣.

(١١) Ramzi Baalbaki, "Some Aspects of Harmony and Hierarchy in Sibaywahi's Grammatical Analysis", in ZAL, 1979, pp. 9 - 10.

(١٢) الكتاب، ج ١، ص ٢٧٥ – ٢٧٦.

مقارنته بالنحو التحويلي عند تشومسكي وسواه عن وجود بنية عميقة deep structure خلف الكلام الظاهر توضح معناه.

ويتبدى اجتهاد سيبويه في تفسير الظواهر الاعرابية في باب النداء، فهو يقرّر وجود فعل "أعني" أو "أريد" مُضمر ليفسر النصب في المنادى المضاف والمشبه بالمضاف وفي تبرير نصب نعت المنادى المفرد. لكن تبدي هذه الظواهر الاعرابية اضافة الى معنى النداء المفهوم عقلياً يبرر موقفه هذا في بنائه لنظريته النحوية.

ومن تفسيره للظواهر الاعرابية ضمن نظرية العامل والمعمول بابُ الاختصاص، فهو يقيسه على موضع النداء نصباً، ففي قولهم: إنّا معشَر العرب تفعل كذا وكذا يقدِّر فعل "أعني" ليفسر نصب "معشر"، ولأن "إنّا نفعل كذا وكذا كلام تامّ" و"معشر العرب" مُقحمة لتوضيح مَنْ "نحن" لذا اضمر فعل "أعني".

أما بالنسبة لحرف الجر فقد يحذف ويبقى عمله أو لا يبقى، فما لا ينبغي عمله: مررت رجلاً أو دخلت الدار[١٣]، ومما يبقى عمله مع حذفه حذفُ "ربّ" مثل "وبلدةٍ ليس بها أنيسُ".

ويعمل حرف الجرّ بينما الموضع موضع رفع، كما مع مثل "رُبَّ" ومثل "هل من رجلٍ" فالكلامُ، كما يقول سيبويه، بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ. وكذلك: ما من رجلٍ، وما من شيء[١٤]. و"مما جاء من الشعر في الاجراء على الموضع"، يقول سيبويه، " قولُ عُتَيْبة الأسدي:

---

[١٣] يقول ابن دريد في "الجمهرة" في الجزء الثالث، ص ١٣١٨: "ثمَّ رأيتُ العرب قد الغت المحالَّ حتى جرى الكلام بالغائهن فقالوا: خرجتُ الشامَ ودخلتُ الكوفةَ وانطلقتُ الغورَ، فأنفذتْ هذه الأحرف في البلدان كلّها المضمر فيها؛ ومن قال هذا لم يقل ذهبتُ عبدَ الله ولا كتبتُ زيداً وما اشبهه لأنه ليس بناحية ولا محلّ، وانما جاز في البلدان لأنها نواحٍ اذ كَثُر استعمالُهم اياها". وفي ص ١٣١٩ يقول: "ويقولون تعلّقتك وتعلّقتُ بك وكلفتك وكلفت بك. وانما سَهُل في الباء لأنها اصل لجميع ما وقعت عليه الأفاعيل اذا كنّيت عنها بفعلتُ، الا ترى انك تقول: ضربتُ اخاك فاذا كنّيت عن ضربت قلت: فعلته. قال الله عزَّ وجلَّ: " وزوجناهم بِحورٍ عين"، أي حوراً عيناً، وهي لغة لأزد شنوءة يقولون: زوّجته بها، وغيرهم يقول : زوّجته ايّاها ولذلك اجترأت العرب على المحالّ فاسقطوها من الأسماء وأوقعوا الأفاعيل عليها.

[١٤] الكتاب، ج ٢، ص ٢٧٥.

مُعاويَ إننا بشرٌ فأسجِحْ فلسنا بالجبالِ ولا الحديدا

لأن الباء دخلت على شيء لو لم تدخل عليه لم يُخِلّ بالمعنى ولم يُحتَجْ اليهـا وكـان نصبـاً. الا ترى انهم يقولون: حسبُك هذا وبحسبك هذا، فلم تغيّر الباء معنى"[١٥].

كذلك تضمر لام الأمر ويبقى عملها:

على مِثْلِ اصحابِ البعوضة فاخمُشي لكِ الويلُ حُرَّ الوجه أو يبكِ من بكى

" أراد"، يقول سيبويه "ليبكِ"[١٦].

رابعاً: في كون التقدير يمثّل تدخلاً من سيبويه في تفسير الجُمَل

يتدخل سيبويه لتفسير الجُمَل من منظوره هو، وانطلاقـاً مـن عـدم اكتفائـه بـالوصف، بـل يُعمـل المنطق ليحلل ويفسر الجمل. ففي جملة " قد مررتُ برجل إن طويلاً وإن قصيراً" لا يجيز سوى النصـب، لأنك لا تستطيع أن تقول: "إن كان فيه طويلٌ، وكذلك لا يجوز على إن وقع".

و"يتدخّل" سيبويه في تفسير الجمل في القرآن وغيره في مثل "السارقُ والسارقةُ فـاقطعوا أيديهمـا" و"الزانية والزاني فـاجلدوا كلَّ واحد منهمـا مائـة جلدة" "فتدخّلـهُ" هنـا علـى وجهيـن، الأول منهمـا: فهمـه وشرحه بناءً على ما سبق من كلٍّ من الآيتين؛ والثاني: قضية العامل. فهو يريد ان يـبرر الرفـع فـلا يقـدِّر فعلاً سبق، بل يشرح الأمر من منطلق آخر، وهو هنا وصفي في عملـه فيمـا يتعلـق بـالقرآن: لأن القـراءة سُنّة، فهو يجعل "السارق والسارقة" جملة على تقدير خبر و " فاقطعوا ايديهما" جملة ثانية وكذلك مع الآيـة

[١٥] نفسه، ج ١، ص ٦٧.

[١٦] نفسه، ج ٣، ص ٩.

الثانية. وقد قلنا انه وصفي هنا في عمله لأنه يقول ان اناساً قد قرأوا بالنصب ولكن العامة ابت الا القراءة بالرفع(١٧).

ومن هذا القبيل قوله: "رأيت عبدَ الله وزيداً مررت بـه، ولقيت قيساً وبكراً أخذتُ اباه، ولقيتُ خالداً وزيداً اشتريتُ له ثوباً.

ويضيف "وإنما اختير النصب ههنا لأن الاسم الأول مبنيّ على الفعل فكان بناء الآخر على الفعل أحسن عندهم إذ كان يُبنى على الفعل وليس قبله اسمٌ مبنيٌ على الفعل، ليجريَ الآخِرُ على ما جرى عليه الذي يليه قبله، إذ كان لا ينقض المعنى لو بنيته على الفعل. وهذا أولَى ان يُحْمَلَ عليه ما قَرُبَ جوارُه فيه، إذ كانوا يقولون: ضربوني وضربتُ قومَك، لأنه يليه، فكان أن يكون الكلامُ على وجه واحد - إذا كان لا يمتنع الآخِر من أن يكون مبنياً على ما يُبنى عليه الأول - أقرَبَ الى المأخذ"(١٨).

نلاحظ هنا أمرين، أولهما: عدم نقض المعنى (وهذا يجيء عليه الكلام فيما بعد). والثاني: كونُ سيبويه يحبذ عطف جملة فعلية على جملة فعلية وهنا نتذكر التناسق الذي تحدث عنه د. بعلبكي في مقالته في ZAL (صفحة ٩٠ من هذه الدراسة).

ويبرز تدخل سيبويه في فهمه للكلام وعدم اكتفائه بالوصف في الشعر مثل:

قد قيل ذلك إن حقّاً وإن كذباً...

فيضمر "كان" تبعاً لنظريته من أن "إنّ" لا يليها إلا الفعل، ولكن تفسيره منطقي هنا وإضمار "كان" (مع اسمها) يفسر البيت.

وكذلك يفعل في البيت التالي:

(١٧) نفسه، ج ١، ص ١٤٤.

(١٨) الكتاب، ج ١، ص ٨٨.

أبا خراشةَ أما أنت ذا نفرٍ...

فهو يضمر "كان" أيضاً (ويصح دخول هذا البيت تحت عنوان تفسير الظواهر الإعرابية) وتحليله منطقي، أعني أنه مبني على المنطق .

ورغم انه يخرّج قراءة "والمقيمين الصلاة" على المدح إلا انه يعلّق قائلاً "فلو كان كلُّه رفعاً كان جيداً"[١٩].

ويلفت النظر هنا قول شوقي ضيف متحدثاً عن الخليل: "وليست المسألة عنده مسألة سماع وشواهد فحسب، فقد جعله استقراؤه للغة العرب تستقر في نفسه سليقتهم استقراراً مكّنه من ضبط القواعد النحوية والصرفية ضبطاً يبهر كل من يقرأ مراجعات سيبويه له"[٢٠].

خامساً: في وجود شروط للتقدير

من شروط سيبويه في عملية التقدير ألاّ يُنقض المعنى بالمقارنة مع التركيب الأصلي قبل تطبيق التقدير.

ففي كلامه على التحذير ووجوب "الواو" بين "اياك" والاسم، في مثل اياك والأسدَ، يضع سيبويه اختيارين في تفسير الواو، فهي إما "واو" المعية أو "واو" عاطفة تجمع جملتين متوازيتين بشكل لا ينقض معنى "مع" من الحديث. فهو في اختياره الثاني يجمع أمرين، أولهما: أنه يجعل الجملة الواحدة جملتين متوازيتين، وثانيهما: أن التقدير هنا لا ينقض المعنى. يقول سيبويه بعد ذكر احتمال أن تكون الواو بمعنى "مع": "وإن شئت لم يكن فيه ذلك المعنى، فهو عربيٌّ جيد، كأنه قال: عليك رأسك وعليك الحائطَ (في مثل

---

(١٩) الكتاب، ج ٢، ص ٦٣.

(٢٠) شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص ٤٧.

رأسَك والحائطَ)، وكأنه قال: دعِ امرأ ودع نفسَه (في مثل امرأ ونفسَه)، فليس ينقض هذا ما أردت في معنى "مع" من الحديث"[٢١]. وكما يهتم ألاّ يُنقض المعنى يهمه، من المنطلق نفسه، أن يخلق جملتين متوازيتين ليحقق تناغماً، فهو يقدِّر في مثل زيداً لقيت اخاه: "لابست زيداً لقيت أخاه ولكن هذا تمثيل لا يُتكلَّم به"[٢٢]. وهو يجعل الجملتين متوازيتين حتى حين يتعدى الفعل بحرف الجرّ، فرغم أن النصبَ بعيدٌ في "زيدٌ مررتُ به"، فهو ممكن على إضمار فعل وخلق جملتين متوازيتين بما لا ينقض المعنى فيمثل على ذلك بـ: جعلت زيداً على طريقي مررت به، ولكنه يؤكد على عدم إظهار الفعل الأول المفسِّر.

"ولا يجوز أن تضمر تنحَّ عن الطريق، لأن الجارّ لا يُضمَر، وذلك أن المجرور داخلٌ في الجارّ غير منفصل، فصار كأنه شيء من الاسم لأنه معاقبٌ للتنوين، ولكنك إن أضمرت أضمرت ما هو في معناه مما يصل بغير حرف إضافة"[٢٣]. (اترك الطريق مثلا).

سادساً: تقدم بعض الحروف على غيرها في التقدير

نستطيع أن نمثل هنا "بأن" الناصبة التي تضمر بعد "واو" المعية والفاء السببية وأو، الخ. والسبب الرئيسي يعود الى أن "أن" تسبك مع الفعل فيصير مصدراً أي اسماً مما يمكِّن من عطف اسم على اسم كما في البيت التالي:

لَلُبسُ عباءَةٍ وتقرَّ عيني أحبُّ إليّ من لبس الشفوف

إذ يقول: "لمّا لم يستقم ان تحمل وتقرَّ وهو فعل على لبس وهو اسم، لمّا ضممتَه الى الاسم، وجعلت أحبَّ

---

[٢١] الكتاب، ج ١، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

[٢٢] الكتاب، ج ١، ص ٨٣.

[٢٣] نفسه، ص ٢٥٤.

لهما ولم ترد قطعه، لم يكن بُدٌّ من إضمار أن"[٢٤].

كذلك إضمار "إن" في جواب الأمر، ففي مثل ليته عندنا يحدثنا أو ألا تنزل تصبْ خيراً، يقول: "وزعم الخليل أن هذه الأوائل كلّها فيها معنى إن، فلذلك انجزم الجواب لأنه إذا قال ائتني آتِك فإن معنى كلامه إن يكن منك إتيان آتِك..."[٢٥].

وقد نشأ عن تقديم بعض الحروف على غيرها في التقدير أنها أضحت – كما في عبارة النحاة – "أمّ الباب"، وسائر الأدوات أخوات، ولنا ان نلاحظ هنا أن شروط عمل "الأم" أقل من شروط عمل الأخوات، انطلاقاً من المبدأ النحوي القائل: إن الفروع لا تبلغ رتبة الأصول.

سابعاً: إسقاط أجزاء من الكلام

يقرّ سيبويه مبدأ إسقاط أجزاء من الكلام تسهيلاً وإسراعاً في مثل التحذير فتقول: اياك! وتكتفي لأن المجال لا يسمح بايضاح ما تريد. فهو – أي سيبويه – بعد ان يوضح بأنك كأنك قلت: اياك اتقِ... الخ؛ يؤكد ان هذا لا يجوز فيه إظهار ما أضمرت "ولكن ذكرته لأمثل لك ما لا يظهر إضماره".

كذلك تسقط أجزاء من الكلام تسهيلاً في مثل لا بأس ولا عليك ولا رجلَ ولا شيء.

وفي الحذف استخفافاً حذف المستثنى كما في قولك: ليس غيرُ وليس إلاّ كأنه قال: ليس إلا ذاك وليس غير ذاك.

وتحذف أدوات النداء تخفيفاً وإسراعاً في الكلام وهذا واضح.

---

[٢٤] الكتاب، ج ٣، ص ٤٦.

[٢٥] نفسه، ج ٣، ص ٩٣ – ٩٤.

وحين يتحدث عن كم وهي غير ظرف أي انها تُعرب حسب موضعها من الكلام في مثل: كم ولد له؟ فهي في محل نائب فاعل مرفوع، والجواب : ستون عاماً. فستون نائب فاعل على الإيجاز (في اللفظ) لأن المعنى وُلد له الولدُ ستين عاماً فأضمر للإيجاز[٢٦].

ثامناً: إقامة الجملة على مبدأ الإسناد

المسند والمسند اليه ركنان تقوم عليهما أسس نظرية سيبويه في الجملة. فالكلام لا يكتمل إلا بوجود العنصرين فإن لم يوجد أحدهما فهو مضمر مقدّر. فبعد إذا الفجائية مثلاً يضمر المبتدأ كما في قولنا: "مررتُ به فإذا أجملُ الناس" أي "هو".

ويقدّر الخبر إذا تعلّق به جارّ ومجرور أو ظرف أو اسم استفهام مما يدل على مكان أو مستقر أو حالة: مثل: ثَمَّ زيدٌ وههنا عمرو، وأين زيدٌ. فالخبر مقدّر على "الوجود" أو "الكون".

وأوضح من ذلك إضمار الخبر بعد لولا، حيث نقول: "لولا عبدُ الله لكان كذا وكذا" فهذا "الوجود" و"الكون" و"الاستقرار" هي ما يُضمر وجوباً لأن الجملة لا تتمّ بدون المسند.

وهذا يذكرنا بوجود فعل الكون في أكثرية اللغات الهندو–أوروبية فيما يكوِّن عندنا الجملة الاسمية (في الزمن الحاضر) كما نقول في الانجليزية: He is here. (الاستثناء الوحيد الذي أعرفه هو في اللغة الروسية حيث تكون جملة He is here دون فعل الكون ظاهراً كما في العربية فنقول OH zgecb).

ولكن الإسناد لا يقف عند الجملة الاسمية وحدها، بل تدخل الجملة الفعلية في هذا السياق، وإضمار الفاعل، على قلّة، في التنازع دليل على الإسناد مثل قول طفيل الغنوي:

وكمتاً مدمّاة كأن متونها   جرى فوقها واستشعرت لون مذهبِ

---

[٢٦] الكتاب، ج ١ن ص ٢١١.

ففاعل "جرى" معنوي أو مقدّر لإعمال الفعل الثاني.

نرى مما مضى أن سيبويه قد حاول إقامة نظرية نحوية متكاملة بعد أن "نضج" النحو في عصره. ونتأكد من ذلك من خلال ذكره للنحويين الذين عرض لآرائهم خلال الكتاب. (لكن أهمهم والمشارك والمخطط، ربما، هو الخليل بن أحمد).

وقد قامت نظريته على جملة أمور منها استقراؤه للغة قدر الإمكان فلا يمكن الإحاطة باللغة في أي حال. ومن خلال استقرائه أنشأ نظريته التي دارت حول العامل مما أدى به الى التقدير لإيجاد العامل. غير ان هذا ليس امراً مرذولاً بل على العكس، فإننا بعد اطلاعنا على نظريات تشومسكي التحويلية – التوليدية ولانهائية اللغة – بمعنى اننا ننتج جملاً لم نسمعها من قبل، أو أن الفهم اللغوي يتعلق بالحدس والعقلانية وهو ينبع من وعي المستعمل للغة، وأن ما يظهر على السطح ما هو إلا تعبير صوتي تركيبي لا يؤدي المعنى دون لبس إلا من خلال العمليات العقلية الداخلية – فإننا بعد هذا نستطيع أن نقول إن التقدير عمل أساسي يؤدي وظيفته في فهم المعنى ويقرر للإعراب دوراً رغم تعدد الاحتمالات.

لقد اصطدم سيبويه " بعوائق" أدت به الى التمحّل احياناً ولكن نظريته النحوية اثبتت قدرتها على التعامل مع اللغة بنجاح، وقد ترك للمتأخرين مهمة إكمال النظرية فمنهم من قطع شوطاً كبيراً، على عكس ما يُظن من أن النحويين المتأخرين تاهوا في التعليلات فقط.

المهم أن سيبويه أقام نظريته على أسس وصفية ولم يكن بإمكانه تجنب قضايا الاشتغال والتنازع مثلاً لورودها في اللغة، وحاول، عقلياً، أن يستنبط الأحكام بالقياس، ولا سبيل آخر لهذا، لأن اللغة كما قلنا لانهائية ولا يمكن المضي في الاستقراء مهما حاول النحوي؛ والتقعيد، باعتراف الوصفيين، ومنهم الدكتور تمام حسان، نتيجةٌ لا بُدَّ منها بعد الاستقراء، وإلا فما هو عمل النحوي؟

ولنأخذ قضية التنازع مثالاً، وهي القضية التي اثارت لغطاً بين النحويين القدامى والمحدثين: بين القدامى، في أي من الفعلين هو العامل. وبين المحدثين إذ إن منهم من دعا الى تقليل الاهتمام بهذه القضية من اللغة وعدم إفراد باب خاص لها، لأنه لا قيمة حقيقية لها إلا في الضرورة الشعرية[٢٧].

ولندع جانباً ما استقرأه سيبويه بحيث ضمّن هذه القضية كتابه، وننتقل الى مثال يضعه أمامنا عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، ففي باب "القول في الحذف" يقول: "وإذا أردت ما هو صريح في ذلك ثم ما هو نادر لطيف ينطوي على معنىً دقيق وفائدة جليلة فانظر الى بيت البحتري:

قد طلبْنا فلم نجد لك في السُّؤْ دَدِ والمجدِ والمكارمِ مِثلا

المعنى قد طلبنا لك مثلاً ثم حُذِف لأن ذكره في الثاني يدل عليه. ثم إن للمجيء به كذلك من الحُسن والمزية والروعة ما لا يخفىَ. ولو أنه قال: طلبنا لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً فلم نجده: لم ترَ من هذا الحُسن الذي تراه شيئاً. وسبب ذلك ان الذي هو الأصل في المدح والغرض بالحقيقة هو نفي الوجود عن المثل، فأما الطلب فكالشيء يُذكر ليبنى عليه الغرض ويؤكّد به أمرُه. واذا كان هذا كذلك فلو أنه قال: قد طلبنا لك السؤدد والمجد والمكارم مثلاً فلم نجده: لكان يكون قد ترك ان يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المِثل وأوقعه على ضميره ولن تبلغ الكنايةُ به مبلغ الصريح ابداً"[٢٨].

وهذا دليل على ان الحذف – حذف المفعول به للفعل الأول – يجعل المعنى ابلغ لأنه يذكر المِثل مفعولاً به للفعل الثاني (لم نجد) ولو ذكر المحذوف أولاً. ثم كنّى عنه او جعل ضميراً يدل عليه لضعف المعنى.

والتنازع، على كل حال، ليس خاصية تختص بها اللغة العربية، ففي الانجليزية يقع التنازع

---

(٢٧) انظر مهدي المخزومي، في النحو العربي – نقد وتوجيه، ص ١٦١ – ١٦٨.

(٢٨) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، حققه وقدم له محمد رضوان الداية وفايز الداية، ط ٢، دمشق، ١٩٨٧، ص ١٧٨ – ١٧٩.

بحيث يحدث حيرة. فمع either في الجملة التالية نجد أن القرار في استعمال صيغة الفعل صعبة:

Either your brakes or your eyesight is at fault.(٢٩)

ومثله، في الموضع نفسه:

He asked her whether one lecture or two? was/? were to be given.

بينما يقرر المؤلفان أنه في الجملة:

Either your eyesight or your brakes are at fault.

فإن قاعدة "القُرب" تتدخل وتقرر صيغة الجمع.

وفي كل الأحوال فالشعر، وإن كان له مستوى خاصّ به من مستويات اللغة، فهو من اللغة ولا يجوز للنحوي إهماله، والنحو وسيلة، من عدة وسائل، لفهم الشعر. ويمكن لمثالٍ للحذف أن يؤديَ جمالاً للمعنى، كالذي لاحظه الجرجاني، من اللغة الإنجليزية التي لا تبيح حذف فعل "الكون" to be، يقول Pope في: Essay on Critisism(٣٠)

To err is human, to forgive divine.

---

(٢٩) Randolph Quirk and Sidney Greenbaum, University Grammar of English, tenth impression, London: Longman Group limited, ١٩٨٠, p. ١٧٨.

(٣٠) Extracted from Adventures in English Literature, ed. by Rewey Belle Inglis et al. New York, ١٩٥٢, p. ٢٧٣.

الفصل الرابع

المقارنة بآراء الكوفيين

رغم اننا ركّزنا على سيبويه في مسألة التقدير، الا اننا يجب الا ننسى انّ سيبويه رأسُ مدرسة البصرة[١]، وحين تذكر مدرسة البصرة تذكر فوراً مدرسة الكوفة في النحو، وكان على رأسها الكسائي والفرّاء وثعلب.

لذلك ارتأينا ان نخصّص فصلاً يعالج بعض مسائل الخلاف في قضايا التقدير والاضمار، خاصةً انه يخطُرُ على الذهن كتاب "الانصاف في مسائل الخلاف" للأنباري المتوفى في سنة ٥٧٧ للهجرة؛ وان تكن قضايا الخلاف بين المدرستين دارت في كثير من كتب النحو، بعضها تخصص في قضايا الخلاف "كالتبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين" للعكبري المتوفى في القرن السابع للهجرة؛ وكتاب "ائتلاف النُصرة في اختلاف نُحاة الكوفة والبصرة" لعبد اللطيف بن ابي بكر الشرجي الزبيدي اليماني المتوفى اوائل القرن التاسع للهجرة. واكثر كتب النحو المتأخرة ذكرت موضوعات الخلاف وعرضت الآراء حيث اقتضت الحاجة ، على سبيل المثال "شرح المفصل" لابن يعيش "وهمع الهوامع" للسيوطي.

يركز هذا الفصل على قضايا الخلاف في مسائل التقدير، وقد نذكر بعض من خالفوا سيبويه من البصريين في التقدير احياناً.

ومن هذه المسائل مسألة التنازع[٢] والفعل الأَولى بالعَمَل، فقد ذهب البصريون الى ان اعمال الفعل الثاني أَولى لقربه من المعمول، أما الكوفيون فقالوا ان الفعل الأول هو العامل لأنه اسبق. واتى كلٌّ من الفريقين بشواهد يعزّز بها مقولته، فمن شواهد الكوفيين قول المرار الأسدي:

وقد نَغْنَى بها ونَرى عصوراً   بها يقتلننا الخُردَ الخِدالا

---

[١] نستخدم كلمة "مدرسة" في هذا السياق واعينَ الخلاف في التسمية نفسها. وبما ان هذا الخلاف يخرج عن الأطر المحدّدة لهذه الدراسة، فاننا نكتفي بالقول ان بين البصريين والكوفيين خلافات محدودة يصحّ معها القول ان هناك اتجاهاً لكل منهما يميّزه عن الآخر، الا انهما يشتركان في الأصول اشتراكاً كبيراً لا يجيز لنا ان نذهب مع بعض الدارسين، الى جعلهما مدرستين منفصلتين في الدراسة النحوية.

[٢] المسألة في "الانصاف"، ص ٨٣. وفي "ائتلاف النصرة" ص ١١٣.

ومن شواهد البصريين قول رجل من باهلة:

ولقد أرى تَغْنَى به سيفانةٌ   تصبي الحليم ومثلُها أصباه

ويقرر الكسائي في نحو "جاء وقعد الزيدان" ان الفاعل فاعل الفعل الثاني وفاعل الأول محذوف[٣]، وذلك بناءً على مذهبه في جواز حذف الفاعل في هذا الباب عند اعمال الثاني فراراً من الاضمار قبل الذكر. وقال الفراء[٤] هو فاعلهما توجيهاً للعاملين الى الاسم الظاهر، وبناءً على منع الاضمار في الأول عند اعمال الثاني. ويوحِّد ابن يعيش المذاهب كلها، فتقول قاما وقعد اخواك على مذهب سيبويه وتقول قام وقعد اخواك على مذهب الكسائي وتوحّد الفعلين جميعاً... وتقول على مذهب الفرّاء قام وقعد اخواك فتوحد الفعلين ايضاً لعملهما في الاسم الظاهر[٥].

اما في الاشتغال[٦] فقد ذهب الكوفيون الى ان نحو قولهم: زيداً ضربته منصوب بالفعل المتصل بالهاء الواقع عليها، وذهب البصريون الى انه منصوب بفعل مقدَّر والتقدير فيه ضربتُ زيداً ضربته (كما رأينا عند سيبويه من خلقه جملتين متوازيتين) فالكوفيون يفرون من التقدير.

أما الاختصاص نحو "نحن بني، ومعشرَ، ورهطَ التي يقيسها سيبويه على النداء فيضمر فعلاً فان "ثعلباً" ينقل عن الفرّاء انها مثل "جميعاً" (أي على الحال)[٧]. وهو ينشد شطراً من ارجوزة لبيد:

نحن بنو أمِّ البنين الأربعة:

---

(٣) المتوفى في النحو الكوفي للكنغراوي، ص ٢٣. والتبيين عن مذاهب النحويين للعكبري، ص ٢٥٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) شرح المفصل، ج ١، ص ٧٩.

(٦) "الانصاف"، ص ٨٢. "ائتلاف النصرة"، ص ١١٣.

(٧) مجالس ثعلب، ج ٢، ص ٤٢٣.

ويقول ان من العرب من ينشدها نصباً: نحن بنــي أمِّ البنين الأربعـة. ويقـول : "وليـس بالوجـه لأنـه ليس بالمدح يمدح نفسه بأن عددهم اربعة. والعرب تفعل هذا في بني، ورهط، ومعشر وآل. قال الفـرّاء: كـأنهم قالوا نحن جميعاً نقول ذاك"[٨].

وعن الظـروف قـال الكوفيـون[٩] : كـلُّ ظـرف جـاء منصوبـاً فنصبـه علـى الخـلاف (وهـو مــن مصطلحاتهم يعتبر عاملاً معنوياً)[١٠] اذا وقع خبراً لمبتدأ وشبهه؛ لأن خبر المبتدأ هو المبتـدأ فـي المعنـى، فاذا كان ظرفاً لم يكن كذلك. وقال ثعلب انه ينتصب لأن الأصل في قولك "أمامك زيدٌ" حلَّ امامكَ، فحـذف الفعل وهو غير مطلوب واكتفى بالظرف منه فبقي منصوباً على ما كان عليه مع الفعل. وذهب البصريون الى انه ينتصب بفعل مقدّر، والتقدير فيه: "زيدٌ استقرّ امامك"[١١] .

ويبدو لي ان المسألة بين "ثعلب" والبصريين مسألة مصطلـح بيـن حـذف وتقديـر والتقديـر يشـمل الحذف، ومعنى حلَّ كمعنى استقرّ، وفعل استقرَّ لا يظهر باية حال.

اما المفعول معه عند الكوفيين فمنصوب ايضاً على الخلاف[١٢]، والفرّاء يأتي بمصطلح آخر هنـا وهو "الصرف"، فهو يقول في قوله تعالى " ولا تَلبِسوا الحقَّ بالباطل وتكتموا الحـقَّ وانتم تعلمـون" (الاية ٤٢ من سورة البقرة): "ان شئت جعلت "وتكتمـوا" فـي موضـع جـزم... وان شـئت جعلـت هـذه الأحـرف المعطوفة بالواو نصباً على ما يقول النحويون من الصرف، فان قلت: وما الصرف؟ قلت: ان تأتي بـالواو معطوفةً على كلام في اوله حادثةٌ لا تستقيم اعادتها على ما عُطف عليهـا، فـاذا كـان كذلك فهـو الصـرف كقول الشاعر:

---

[٨] المصدر السابق، ص ٤٤٣.

[٩] "ائتلاف النصرة" ص ٣٥.

[١٠] المختار احمد ديره، دراسة في النحو الكوفي، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٨٦ – ٢٨٧.

[١١] الانصاف، ص ٢٤٥.

[١٢] ائتلاف النصرة، ص ٣٦. الانصاف ٢٤٨.

لا تَنْهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مثله عارٌ عليك اذا فعلت عظيم[١٣]

بينما يقدّر سيبويه "ان" مضمرة وان كان شرحه للبيت وتفريقه بين معنى الفاء والواو يوحي بمعنى الصرف الذي تكلم عنه الفرّاء. ورغم ان الأخفش الأوسط قال في الآية "ولا تَلبِسوا الحقَّ بالباطل وتكتموا الحقّ": ان شئت جعلت "وتكتموا الحقّ" نصباً اذا نويت ان تجعل الأول اسماً فتضمر مع "تكتموا" "ان" حتى تكون اسماً[١٤]، الا انه في موضع آخر يقول في الآية ١٠٢ من سورة التوبة "وخلطوا عملاً صالحاً وآخَرَ سيئاً" انه يجوز في العربية ان يكون بآخر"، كما تقول استوى الماءُ والخشبةَ، أي بالخشبة: خلطتُ الماءَ واللبن أي باللبن[١٥] لأنه اراد المعنى.

في "ائتلاف النصرة"[١٦] يقول المؤلف ان الكوفيين قالوا انه يحذف حرف النداء من اسم الجنس، كقولهم: 'أطرق كرا" "وافتدِ مخنوقُ" "واصبح ليلُ"، وقد رد هذا البصريون. وقال سيبويه: "وليس هذا بكثير ولا قوي"[١٧].

الاسم الواقع بعد "لو" عند البصريين مبتدأ ثم قيل لا خبر له، وقيل خبره محذوف من نحو "لو ذاتُ سوار لطمتني". ومذهب الكوفيين وتبعهم الزمخشري وابن مالك وغيرهما انه فاعل فعل (ثبت) مقدراً[١٨].

في " ائتلاف النصرة" و"الانصاف" ان الكوفيين جوّزوا العطف على الضمير المجرور من غير اعادة العامل لمجيئه كثيراً في القرآن والحديث والشعر، نظماً ونثراً كما في قراءة (والأرحامِ) ومنع ذلك

---

(١٣) معاني القرآن للفراء، ج ١، ص ٣٣ - ٣٤.

(١٤) معاني القرآن للأخفش، تحقيق فائز فارس، ج ١، ص ٦٤.

(١٥) المصدر المذكور، ج ٢، ص ٣٣٦.

(١٦) ائتلاف النصرة، ص ٥٧.

(١٧) الكتاب: ج ٢، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(١٨) ائتلاف النصرة، ص ٥٩.

البصريـون لأن الجـارّ والمجـرور بمنزلـة شـيء واحـد[١٩]. بينمـا يقـول الفـرّاء فـي: (الـذي تسـاءلون بـه والأرحام) فنصب الأرحام يريد واتقوا الأرحام ان تقطعوها..." أما قراءة الخفض فيقول فيها: "هو كقولهم بالله وبالرحمِ وفيه قبحٌ لأن العرب لا ترد مخفوضاً على مخفوض، وقد كنى عنه[٢٠]". (كنّى عنه أي جـاء بالضمير (به) هنا).

في المسألة ١٠٢ من "الانصاف"[٢١] يقول الانباري: "ذهب الكوفيون الى ان ايهـم اذا كـان بمعنـى الذي وحذف العائد من الصلة مُعْرَبٌ، نحو قولهم "لأضربنَّ أيّهم افضل"، وذهب البصريون الى انه مبنـي على الضم، واجمعوا على انه اذا ذُكر العائد انه معـرب، نحـو قولهـم"لأضربـنَّ ايّهـم هـو افضـل"، وذهـب الخليل بن احمد الـى ان "ايهـم" مرفـوع بـالابتداء "وافضـلُ" خـبره ويجعـل "أيهـم" اسـتفهاماً، ويحملـه علـى الحكاية بعد قول مقدر، والتقدير عنده: لأضربنّ الذي يُقال لهم ايُّهم افضل". وقول الأنباري صحيح، ولكـن سيبويه يقول: "وحدثنا هارون ان ناساً، وهم الكوفيون، يقرؤنها (يعني الآية): (ثـم لننـزعن مـن كـل شـيعة ايَّهم اشدّ على الرحمن عتيّا)، وهي لغة جيدة[٢٢]". ويقول الفرّاء: "من نصب "ايا" (فـي الآيـة) اوقـع عليهـا النزع وليس باستفهام، كأنه قال: ثم لنستخرجنَّ العاتيَ الذي هو اشدّ[٢٣]". ثـم يوجـه الرفـع علـى ان يكتفـي الفعل "بمن" ثم تستأنف "ايا" فترفعها بالذي بعدها (أي مبتدأ و خبر) والمبتدأ والخبر في محل نصب للفعـل. ثم يجعل وجهاً آخر للرفع في الآية فينظر اليهـا علـى انهـا مثـل: "لننـزعنَّ مـن الذيـن تشـايعوا علـى هـذا، ينظرون بالتشايع ايهم اشد واخبث، وايهم اشد على الرحمن عتياً[٢٤]"، يقيسه على الآية ٥٧ مـن الإسـراء

---

[١٩] المصدر السابق، ص ٦٢. و"الانصاف"، ص ٤٦٣.

[٢٠] معاني القرآن للفرّاء، ج ١، ص ٢٥٢.

[٢١] الانصاف، ص ٧٠٩.

[٢٢] الكتاب: ج ٢، ص ٣٩٩.

[٢٣] معاني القرآن للفرّاء، ج ١، ص ٤٧.

[٢٤] المصدر السابق، ص ٤٨.

(يبتغون الى ربِّهم الوسيلةَ ايّهم اقرب) أي ينظرون ايُّهم اقرب. ويخيّل الي ان اختيار سيبويه الرفع والنصب معاً: الأول على البناء كما في خمسة عشر وهو قليل عنده والثاني (أي النصب) مقياساً على "اضرب الذين افضل"[٢٥].

في "ائتلاف النصرة" و "الانصاف"[٢٦] ان الكوفيين ذهبوا الى ان واو رُبَّ تجرّ بنفسها واليه ذهب المبرّد[٢٧] من البصريين لأنها نائبة "رُبَّ" وهي تعمل الخفض وكذلك الواو لنيابتها عنها فهي كواو القسم لمّا نابت عن الباء عملت عملها فكذلك الواو هنا.

وذهب البصريون الى انها لا تعمل وانما العمل لـ "رُبَّ" المقدرة لأن هذه حرف عطف، وحرف العطف لا يعمل شيئاً، اذ الحرف لا يعمل الا اذا كان مختصاً، وحروف العطف "غير مختصة فوجب الا تكون عاملة والعمل لـ "رُبَّ" المقدرة.

في شأن "مُذ" و"منذ"[٢٨] ذهب الكوفيون الى انه اذا ارتفع الاسم بعدهما، فانه يرتفع بفعل محذوف لأنهما مركّبان من "مِنْ" و"إذْ"، لأنه قد يقال "مُنذُ" و"مِنذُ"، فالكسر على الأصل والضم للتناسب وكسر الميم يدلّ على انها مركبة من "مِن" و"إذ" واذا كانا مركّبَيْن كان الرفع بعدهما بتقدير فعل لأن الفعل يحسن بعد "إذ". ونُقل عن الفرّاء انه قال انما هو مرتفع بتقدير مبتدأ محذوف.

وذهب البصريون الى انهما يكونان اسمين مبتدأين يرتفع ما بعدهما خبراً لهما، ويكونان حرفين فيكون ما بعدهما مجروراً بهما لأنهما مقدّران بالأمد. وفي "الكتاب" يذكر الضم في مُنذُ فيمن جرّ بها لأنها بمنزلة "من" من الأيام[٢٩]. و"اما "منذُ" فانها ضمت للغاية، ومع ذا ان من كلامهم ان يُتبعوا الضمَّ الضم،

---

[٢٥] الكتاب، ج ٢، ص ٤٠٠ – ٤٠١.

[٢٦] ائتلاف النصرة، ص ١٤٥ – ١٤٦. الانصاف، ج ١، ص ٣٧٦.

[٢٧] انظر المقتضب، ج ٢، ص ٣١٩ و ٣٤٨.

[٢٨] ائتلاف النصرة، ص ١٤٦. الانصاف، ج ١، ص ٣٨٢.

[٢٩] الكتاب، ج ١، ص ١٧.

كما قالوا رُدُّ يا فتى[٣٠]. والخليل، في الموضع نفسه، يعد "مذ" و"منذ" من الظروف، لذا نرجّح انّه في : "مذ عامٌ اولُ" يعتبر كلمة "عام" مبتدأ، ولا خلاف عنده في الجر بمذ[٣١].

اما عند "المبّرد" "فمذ" اذا رفعت فهي اسم مبتدأ وما بعدها خبره، غير انها لا تقع الا في الابتداء لقلّة تمكنها وانها لا معنى لها في غيره "وذلك قولك لم آته مذ يومان، والمعنى لم اره، ثم خبّرت بالمقدار والحقيقة والغاية فكأنك قلت: مدة ذلك يومان[٣٢]". فلا خلاف في كونها للغاية بين المبرّد وسيبويه بل في اعرابها على ما يبدو.

عند البصريين اللام في قولهم "لزيدٌ افضل من عمرو لام ابتداء بدليل انها اذا دخلت على المنصوب في باب "ظننت" اوجبت له الرفع ودفعت عنه عَمَلَ ما قبله، فدلّ على انها لام ابتداء.

بينما يذهب الكوفيون الى انها (اللام) جواب قَسَم مقدّر، تقديره: والله لزيدٌ افضل من عمرو، فاضمر اليمين اكتفاءً باللام منها، ودليلهم على ذلك ان هذه اللام يليها المفعول نحو: لطعامكَ زيدٌ آكلٌ، فلو كانت لام ابتداء للزم ان يكون ما بعدها مرفوعاً ولما جاز ان يليها المفعول.

ويرد البصريون هذا بأنه على التقديم والتأخير[٣٣].

ذهب الكوفيون الى انّ "أنْ" الخفيفة المفتوحة تعمل في الفعل المضارع النصب مع الحذف من غير بدل. (يرى "ثعلب" ان الرفع هو القياس)[٣٤]. ويستشهد الكوفيون على هذا بقراءة عبد الله بن مسعود (واذا اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدوا الا الله) ننصب "تعبدوا" "بأن" مقدرة.

---

(٣٠) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٧.

(٣١) المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٣٢) المقتضب، ج ٣، ص ٣٠.

(٣٣) ائتلاف النصرة، ص ١٤٧. الانصاف، ج ١، ص ٣٩٩.

(٣٤) مجالس ثعلب، ج ١، ص ٣١٧.

وذهب البصريون الى انها لا تعمل من غير بدل لأنها من عوامل الأفعال، وعوامل الأفعال خفيفة لا تعمل مع الحذف من غير بدل. اما قراءة عبد الله بن مسعود فهي شاذة، وليس للكوفيين فيها دليل،لأن "تعبدوا" مجزوم "بلا" التي للنهي. هذا قول مؤلفي ائتلاف النصرة والانصاف[٣٥].

اما سيبويه فيذكر قراءة (لا تعبدون) في الحلف[٣٦]. ويحمل حذف " أن" مع عملها في الشعر:

فلم ارَ مثلها خباسة واحدٍ ونهنهت نفسي بعدما كدت افعلَهْ[٣٧]

وفي الجزء الثالث من الكتاب يذكر بيت طرفة بن العبد:

الا ايها الزاجري احضرُ الوغى وأن اشهد اللذات حل انت مخلدي[٣٨]

ويقول الفرّاء في (لا تعبدون) مثل قول سيبويه من انّ "أن" حذفت ورفع الفعل. ويضيف: "أما قراءة أُبَيّ (لا تعبدوا) فعلى الجزم بالنهي[٣٩]. نلاحظ هنا ان الاختلاف مختلف في اضمار "أن" وابقاء عملها بين اوائل البصريين والكوفيين. وقد قبلها سيبويه في شعر (وهو راس مدرسة البصرة النحوية).

ذهب الكوفيون الى ان لام كي هي العاملة بنفسها من غير تقدير "أن" لأنها قامت مقام كي واشتملت على معناها فكما ان كي تنصب بنفسها كذلك ما قام مكانها.

وذهب البصريون الى ان العامل "أن" مقدّرة بعدها لأن اللام من عوامل الأسماء وعوامل الأسماء لا يجوز ان تكون من عوامل الأفعال غالباً فوجب ان يكون ما بعدها منصوباً بتقدير "أن"[٤٠].

---

(٣٥) ائتلاف النصرة، ص ١٥٠. الانصاف، ص ٥٥٩.

(٣٦) الكتاب، ج ٣، ص ١٠٦.

(٣٧) المصدر السابق، ج١، ص ٣٠٧.

(٣٨) المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٩.

(٣٩) معاني القرآن للفرّاء، ج ١، ص ٥٣. وقد عزى ابن خالويه في كتابه "المختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع" قراءة (لا تعبدوا) الى ابن مسعود، ص ١٥.

(٤٠) ائتلاف النصرة، ص ١٥١. الانصاف، ص ٥٧٥

ذهب الكوفيون الى ان لام الجحد هي الناصبة للفعل بنفسها ويجوز اظهار ان بعدها للتوكيد، لقوله:

لقد عذلتني أمُّ عمرو ولم اكن مقالتها ما كنتُ حيّاً لأسمعا

فهذا دليل على انها هي العاملة من غير تقدير "أن"، اذ لو كانت مقدرة، لكانت مع الفعل بتأويل المصدر وما كان في صلة المصدر لا يتقدم عليه. وذهب البصريون الى أنّ الناصب للفعل "ان" مقدرة بعدها، ولا يجوز اظهار ان بعدها كما قيل في لام كي لأنها قد صارت بدلاً من اللفظ بـ"أن". (يجيز سيبويه اظهار "أن" بعد لام كي – الكتاب، ج ٣، ص ٥ – ٦).

ويرد الأنباري شاهد الكوفيين بأن "مقالتها" منصوب بفعل مقدّر، كأنه قال: ولم اكن لأسمع مقالتها، لا بقوله "لأسمعا"[٤١].

ذهب الكوفيون الى ان "حتى" تنصب الفعل المضارع بنفسها من غير تقدير "أن" (يذكر هذا الفرّاء)[٤٢]. وتجر الاسم من غير جار؛ لأنها بمعنى "في" او بمعنى "الى". ويعزى الى الكسائي قوله ان الاسم ينجرّ بعدها بـ "إلى" مظهرة او مقدّرة.

وذهب البصريون الى ان الفعل بعدها ينصب بان مصدرية والاسم ينجرّ بها بعينها لاجماعهم على انها من عوامل الاسم فلا يجوز ان تعمل في الأفعال بنفسها[٤٣]. (نلاحظ هنا اهمية اختصاص الحرف عند البصريين ومسألة "أن" المضمرة التي تشكل مع الفعل مصدراً او اسماً).

---

[٤١] الانصاف، ص ٥٩٥.

[٤٢] معاني القرآن للفراء، ج ١، ص ١٣٦.

[٤٣] ائتلاف النصرة، ص ١٥٣. الانصاف، ص ٥٩٧.

ذهب الكوفيون الى ان "لولا" يرتفع الاسم بعدها كما كان ذلك مع "لو"[٤٤] لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم؛ لأن التقدير في قولك: لولا زيدٌ لفعلتُ؛ لو لم يمنعني زيد لفعلت الا انه قد حُذف الفعل تخفيفاً.

وذهب البصريون الى انه يرتفع بالابتداء والخبر محذوف.

ينظر الكوفيون هنا الى المعنى فيقدرون فعلاً يدل على المنع. أما البصريون فالخبر المحذوف عندهم يدل على الاستقرار والوجود وجوباً. ويذكر ابن هشام في المغني ان بعضهم لحّن المعرّي في قوله في وصف سيف:

يذيب الرُّعبُ منه كلَّ عَضْبٍ فلولا الغِمدُ يمسكه لسالا

ويعلّق قائلاً: "وليس بجيّد؛ لاحتمال تقدير يمسكه بدل اشتمال على ان الأصل ان يمسكه، ثم حُذفت "أن" وارتفع الفعل"[٤٥].

ذهب الكوفيون الى ان "ما" الحجازية لا تعمل في الخبر النصب، وانما هو منصوب بحذف حرف الخفض؛ لأن الحرف لا يعمل الا اذا كان مختصاً و "ما" مشتركة، لأنها مشبهة بليس فلم تعمل.

ومذهب البصريين انها هي العاملة في الخبر بنفسها، وهو منصوب بها، لأنها مشبهة بليس فعملت عملها[٤٦].

اذا صحّ هذا فالكوفيون اضحوا مهتمين باختصاص الأدوات. والقضية قضية لهجة ليس بالامكان معرفة لماذا قرّر اصحابها اعمال "ما"، وان كان رأي البصريين ارجح هنا للمعنى.

---

[٤٤] المصدر السابق، ص ١٦٤.

[٤٥] مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق ح. الفاخوري، بيروت، ١٩٩١، ص ٤٤٩ – ٤٥٠.

[٤٦] ائتلاف النصرة، ص ١٦٥.

ذهب الكوفيون الى ان "الا" في الاستثناء هي العاملة في المستثنى بنفسها، لأنها مركّبة من "ان" و"لا" فخففت "ان" وأُدغمت في اللام فنصبوا بها في الموجب اعتباراً بـ "إن" واتبعوا في غيره اعتباراً بـ "لا". وهذا قول الفرّاء. وذهب بعضهم الى ان العامل فيه "الا" مطلقاً واليه ذهب الزجّاج والمبرّد من البصريين.

وذهب البصريون الى ان العامل فعل يتوسط "الا" كالفعل يتصدى بحرف جرّ، كما قيل في المنصوب بعد "واو" مع. يقول سيبويه بعد ان يتكلم عن الاستثناء المفرّغ: "والوجه الآخر ان يكون الاسم بعدها خارجاً مما دخل فيه ما قبله، عاملاً فيه ما قبله من الكلام كما تعمل عشرون فيما بعدها اذا قلت عشرون درهماً[٤٧]".

ويقول المبرّد في المقتضب: "وذلك لأنك لما قلت: جاءني القومُ وقع عند السامع انّ زيداً فيهم، فلما قلت الا زيداً، كانت "الا" بدلاً من قولك: اعني زيداً واستثني فيمن جاء ني زيدٌ، فكانت بدلاً من الفعل"[٤٨].

ويرى عبد الخالق عضيمة، محقق الكتاب، ان رأي المبرّد في ناصب المستثنى مخالف لرأي سيبويه فكلام سيبويه على ما فيه من اجمال يفيد ان ناصب المستثني هو ما قبل الاّ، وكلام المبرّد في كتابيه الكامل والمقتضب يفيد ان الناصب هو الفعل المحذوف، و"الا" دليل وبدل منه وليس لـ"الا" عمل في المستثنى.

يرد المبرّد رواية بيت يستشهد به سيبويه على الاضمار في اسلوب المفاعلة وهو:

تواهق رجلاها يداها ورأسه....

---

[٤٧] الكتاب، ج ٢، ص ٣١٠.

[٤٨] المقتضب، ج ٤، ص ٣٩٠.

ويقول – أي المبرّد –: "فأما قوله

تواهق رجلاها يديه ورأسُهُ

فمن انشده برفع اليدين فقد اخطأ لأن الكلام لم يستغنِ، ولو جاز لجاز: ضاربَ عبدُ الله زيدٌ؛ لأن من كلّ واحد منهما ضرباً"[٤٩].

اما "ثعلب" فيجيز هذا الأسلوب: "وقال ابو العباس: اذا كان الفعل من الاثنين جاز رفعهما، يقال: خاصَم زيدٌ عمرو"[٥٠]".

ويعترض المبرّد على رواية اخرى لسيبويه الشاهد:

اذا ابنُ أبي موسى بلالٌ بلغتهِ   فقام بفأس بين وصليك جازرُ

فيورده هكذا بالنصب:

اذا ابنَ ابي موسى بلالاً بلغته.....

ويقول: ولو رفع هذا رافع على غير الفعل لكان خطأً لأن هذه الحروف لا تقع الا على الافعال، ولكن رفعه يجوز على ما لا ينقض المعنى، وهو ان يضمر "بُلِغَ"، فيكون : اذا بُلغ ابنُ أبي موسى. وقوله: بَلَغْتِهِ اظهار للفعل وتفسير للفاعل[٥١]".

---

[٤٩] المقتضب، ج ٣، ص ٢٨٥.

[٥٠] مجالس ثعلب، ج ٢، ص ٤٨٥.

[٥١] المقتضب، ج ٢، ص ٧٧.

المصادر والمراجع

أ- بالعربية :

ابن خالويه. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع. تحقيق براجستر، بيروت: عالم الكتب، لا.ت.

ابن دريد، أبو بكر محمد. جمهرة اللغة. تحقيق: رمزي بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧.

ابن عقيل، بهاء الدين. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: رمزي بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٩٢.

ابن مضاء القرطبي. كتاب الرد على النحاة. تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: دار الفكرة العربي، ١٩٤٧.

ابن الناظم. شرح ألفية ابن مالك. بيروت: دار السرور، لا.ت. (نسخة مصورة).

ابن هشام الأنصاري. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: ح. الفاخوري، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١.

ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصل. بيروت: عالم الكتب، لا.ت.

احمد ديره، المختار. دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفرّاء. بيروت: دار قتيبة، ١٩٩١.

الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة. معاني القرآن. تحقيق: فائز فارس. الكويت، ط٢، ١٩٨١.

بعلبكي، رمزي. معجم المصطلحات اللغوية. بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٩٠.

ثعلب، أبو العباس أحمد. مجالس الثعلب. تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٦٠.

الجرجاني، عبد القادر. دلائل الإعجاز. تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية. دمشق: مكتبة سعد الدين، ط٢، ١٩٨٧.

حاطوم، أحمد. كتاب الإعراب. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، ١٩٩٢.

حسان، تمام. الأصول: دراسة ابستمولوجية لاصول الفكر اللغوي العربي. الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨١.

________. اللغة بين المعيارية والوصفية. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨.

________. اللغة العربية: معناها ومبناها. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣.

دمشقية، عفيف. خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي. بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٨٢.

الراجحي، عبده. النحو العربي والدرس الحديث: بحث في المنهج. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٩.

الزجاجي، أبو القاسم. الإيضاح في علل النحو. تحقيق: مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، ط٥، ١٩٨٦.

زكريا، ميشال. الالسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٦.

________. مباحث في النظرية الالسنية وتعليم اللغة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٤.

سابير، إدوارد. اللغة: مقدمة في دراسة الكلام. الجزء الأول، ترجمه عن النص الإنجليزي وقدّمه المنصف عاشور. الدار العربية للكتاب، ١٩٩٥.

سالم مكرم، عبد العال. شواهد سيبويه من المعلقات في ميزان النقد. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧.

السامرائي، إبراهيم. في اللهجات العربية القديمة . بيروت: دار الحداثة، ١٩٩٤.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٨٣.

السيد، عبد الرحمن. مدرسة البصرة النحوية. القاهرة: كلية دار العلوم، ١٩٦٨.

الشاعر، حسن موسى. اختلاف الرواية في شواهد سيبويه الشعرية. عمّان: دار البشير، ١٩٩٢.

ضيف، شوقي. المدارس النحوية، القاهرة: دار المعارف، ط٧، لا.ت.

عبد الباقي، فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. بيروت: دار الجيل (نسخة مصورة)، لا.ت.

عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي. ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة. بيروت: عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط١، ١٩٨٧.

العكبري، أبو البقاء. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين. تحقيق ودراسة عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦.

عمايرة، خليل أحمد. آراء في الضمير العائد ولغة "أكلوني البراغيث". عمّان: دار البشير، ط١، ١٩٨٩.

الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد. معاني القرآن. تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، القاهرة: ١٩٥٥-١٩٧٢.

كريستال، دافيد، التعريف بعلم اللغة. ترجمة الدكتور حلمي خليل. الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩.

الكنغراوي، أبو طلحة صدر الدين. الموفي في النحو الكوفي. شرح: محمد بهجة البيطار. دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٩٥٠.

المبرّد، أبو العباس. المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. بيروت: عالم الكتب، لا.ت.

المخزومي، مهدي. الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه. بيروت دار الرائد العربي، ط٢، ١٩٨٦.

________. في النحو العربي: قواعد وتطبيق. بيروت: دار الرائد العربي، ط٢، ١٩٨٦.

________. في النحو العربي: نقد وتوجيه. بيروت: دار الرائد العربي، ط٢، ١٩٨٦.

________. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو. بيروت: دار الرائد العربي، ط٣، ١٩٨٦.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. شرح أبيات سيبويه. تحقيق: زهير غازي زاهد، بيروت: عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ١٩٨٦.

ياقوت، محمود سليمان. قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥.

ب- بالاجنبية:

Baalbaki, Ramzi. "Reclassification in Arab Grammatical Theory", in JNES T4 no.1, 1995, pp.1-13.

________. "Some Aspects of Harmony and Hierarchy in SIBAWAHI's Grammatical Analysis". in ZAL Volume 2, 1979, pp. 7-22.

Bach, Emmon. An Introduction to Transformational Grammars. New York: Holt, Rinehart and Winston Inc., 1964.

Bloomfield, lionard, language, New York: Harcourt, Brace & World Inc., 1949.

Carter, Michael G., "Elision", in : Proceedings of the Colloquium on Arabic Grammar, ed. by K. Dévényi and T. Iványi, Budapest, 1991, pp. 121-133.

Chomsky, Noam. Aspects of the Theory of Syntax: Massachusetts: MIT press, 1965.

________. Language and Mind. enl. ed. New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1972.

________. Syntactic Structures. fifth printing, the Hague: 1965.

Crystal, David. Linguistics. Middlesex, England: Pengwin Books, 1977.

Dinneen, Francis. An Introduction to General Linguistics. New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1967.

Inglis, Rewey Belle et al. (eds.). Adventures in English Literature. NewYork: Harcourt, Brace & world Inc., 1952.

Lyons, John (ed). New Horizons in Linguintics. Middlesex, England: Penguin Books, 1972.

________. Noam Chomsky. New York: Viking Press Inc. , 1970.

Quirk, Randolph and Sidney Greenbaum, A University Grammar of English. London: Longman Group Limited, Tenth impression, 1980.

Smith, Neil and Deidre Wilson. Modern Linguistics. Middlesex: Penguin Books, 1979.

Sapir, Edward. Language. New York: Harcourt, Brace and World Inc., 1949.

de Saussure, Ferdinand. Course in General Linguistics. edited by Charles Bally and Albert Sechhaye, Trans. by Wade Baskin. New York: Mc Graw Hill Book Company, 1966.

Thomas, George. Lingnistic Purism. New York: Longman Inc., 1991.

Versteegh, Kees. " The Notion of 'Underlying Levels' in the Arabic Grammatical Tradition". in Historiographia Linguistica, Volume XXI, No.3, 1994.